الحضارة الغربية والشرق الأوسط في إطار المركزية الغربية

Western Civilization and the Middle East in the Framework of Western Centralism

مأمون أحمد أبو رعد
أستاذ مساعد / قسم العلوم الاجتماعية/ شعبة التاريخ
كلية الآداب، جامعة البحرين، البحرين

الملخص

هدفت الدراسة إلى عرض رؤية غربية استشراقية، ورؤية عربية نقدية، حول الحضارة الغربية في إطار المركزية الغربية، لمعرفة الاختلاف الفكري حول هذه القضية من خلال عرض تحليلي لرؤية برنارد لويس- باعتباره ممثلاً للحضارة الغربية ومدافعًا عنها، وكذلك عرض تحليلي للرؤية المضادة المتمثلة في رؤية عبد الوهاب المسيري- باعتباره ممثلاً للحضارة العربية والإسلامية ومدافعًا عنها. تستخدم الدراسة المنهج المقارن للتعرف على فكر كل من برنارد لويس وعبد الوهاب المسيري في إطار مقارن، في ضوء اختلاف المدارس الفكرية التي ينتمي إليها كل مفكر. أكدت الدراسة الخصوصية الثقافية للبلدان العربية الإسلامية، وهو ما أوضحه لويس، حيث اعتبرها عائقًا أمام اللحاق بالركب الحضاري الغربي، وأكد عليه كذلك المسيري في حديثه عن عدم ملائمة النموذج الحضاري الغربي للبلدان العربية الإسلامية نظرًا لخصوصيتها الثقافية. كما أكدت الدراسة على خصوصية الحضارة الغربية ومعطياتها، وهو ما أوضحه المسيري حينما أوضح أن المعطيات الحضارية الغربية وليدة ظروف خاصة، وأكد عليها برنارد لويس حينما تحدث عن خصوصية الغرب وتفرده، الأمر الذي أنتج الحضارة الغربية. خلصت الدراسة إلى أن إشكالية المركزية الغربية في أنها تفترض وجود حل وحيد للتقدم في العالم العربي والإسلامي وهو السير على النهج الغربي، ومع ذلك تفترض استحالة هذا الأمر بسبب تفرد وخصوصية الحضارة الغربية.

الكلمات الدالة: المركزية الغربية، الحضارة الغربية، برنارد لويس، عبد الوهاب المسيري، التحدي، الاستجابة.

Abstract

This study aims to scrutinize a Western orientalist vision and a critical Arab one on Western civilization within the framework of Western centralism, consequently identfying the intellectual difference on this issue. To achieve this, the study presents an analytical vision of

Bernard Lewis - as a representative and defender of Western civilization, as well as an analytical opposing vision of Abdel-Wahhab El Messeiry - as a representative and defender of Arab and Islamic civilization. The study adopts the comparative approach to identify the thought of both Bernard Lewis and Abdel-Wahab El-Messiri in a comparative framework, considering the difference in the intellectual schools to which each thinker belongs.The study assures that the Islamic Arabic countries have a cultural specificity. According to Lewis, this cultural specificity is an obstacle to catch up the Western civilization. Simultaneously, Abdel Wahab El Messeiry (the criticizing Arabic school representative) confirmes the same point, saying that the Western civilization model is not appropriate for the Islamic Arabic countries due to the Islamic Cultural specificity**.** The study also confirms the specificity of the Western culture and its givens. According to El Messeiry, the Western culture givens is nascent from special environment and circumstances. Lewis also confirms the same point, who talkes about the Western privacy and uniqueness which formulated the Western civilization givens. The study concludes that the problem of Western centralism is that it assumes that there is only one solution for progress in the Arab and Islamic world, which is to follow the Western approach. However, it assumes that this is impossible due to the uniqueness and specificity of Western civilization.

Keywords: Western civilization, Western centralism, Bernard Lewis, Abdel Wahab El Messeiry, Challenge, Response.

مقدمة:

منذ بدايات المسار التاريخي، ظل الغرب يعتقد بأنه يمثل المركز، وأن غيره يمثلون الأطراف، وأنه الصوت وغيره الصدى، وذلك لشعورهم بالقيمة الاستثنائية لمكانة الغرب الحضارية والإنسانية، وكذلك قيم ومُثل الإنسان الغربي. أدى هذا الشعور إلى ضرورة وحتمية إلزام الآخر بالاندماج الطوعي تحت ظلال المركزية الغربية، والتقليل من وجود الآخر المستقل أو المتميز، وكذلك عدم المبالاة بخصوصيات الآخر الثقافية والحضارية.

وتتمثل خطورة المركزية الغربية في بعدها الضمني، حيث إنها تروج لفكرة التفرد الغربي بأسلوب كامن وضمني، دون أن يشعر المتلقي بذلك، والمركزية الغربية كذلك تروج للتفرد والتفوق الغربي بصورة استيعابية وليست صدامية، وهو ما يكسبها الفاعلية والقوة. ومن هذا المنطلق، يصبح كيان "الغرب" هو المركز، وهو الذي يحدد المعايير الإنسانية للعالم أجمع (الصواب والخطأ، الخير والشر،...).

وكان من الطبيعي في هذا السياق أن تبرز صيحات التحذير وأصوات الاحتجاج ضد هذه الروح المستندة على تميز وتحضر ورقي الإنسان الغربي والحضارة الغربية دون سواهما. لذا، تقدم هذه الدراسة عرضاً لرؤية غربية استشراقيه، ورؤية عربية نقدية حول الحضارة الغربية لمعرفة أسباب الاختلاف الفكري حول هذه القضية من خلال عرض تحليلي لرؤية برنارد لويس – باعتباره ممثلاً للحضارة الغربية ومدافعًا عنها. وكذلك عرض الرؤية المضادة من خلال رؤية عبد الوهاب المسيري – باعتباره ممثلاً للحضارة العربية والإسلامية ومدافعًا عنها.

المشكلة البحثية

تقف التيارات الفكرية المختلفة موقف المدافع أو الناقد للواقع الذي نعيشه، ذلك الواقع الذي يكشف تراجعًا واضحًا للحضارة العربية، وتقدمًا ملحوظًا للحضارة الغربية. فقد كانت الحضارة الغربية المحور الفكري الرئيس لمفكري المدرسة الغربية الاستشراقية، التي يمثلها في هذه الدراسة برنارد لويس، والتي يعتبرونها سببًا لما توصل إليه الغرب من تقدم. ففي ظل رؤية غربية التمركز، يرى هؤلاء المفكرين أن الحضارة تعبر عن الحضارة الغربية، فالغرب هو الحضارة، وهو الذي يحدد معايير التقدم والتخلف. وعلى الجانب الآخر، كانت الاستجابة من مفكري المدرسة العربية التي يمثلها عبد الوهاب المسيري في هذه الدراسة، والذي قام بنقد كلي للحضارة الغربية ليكشف غطاء المركزية الغربية، ويقدم الحضارة الغربية كشكل حضاري ضمن تشكيلات حضارية أخري قدمت نموذجًا للإنسانية له إيجابياته إلى جانب سلبياته، وليس بالضرورة أن يكون صالحًا للاقتداء في كل أبعاده. وقد تم اختيار عبد الوهاب المسيري ممثلاً عن الفكر العربي لأنه يمثل التيار الفكري العربي الذي لا ينساق وراء الدعاوى الغربية دون تمحيص ونقد باعتبار الحضارة الغربية هي الحضارة الأكثر قوة، ولا يقوم كذلك بالانغلاق ورفض كل ما هو غربي، بل إن المسيري يمثل التيار الفكري الذي يقدم الصورة بشكل كلي. كما أن اختيار المسيري يرجع إلى أنه تناول ظاهرة المركزية الغربية بشكل مباشر، وتناول الحضارة الغربية من هذا المنظور (مدخل المركزية الغربية)، بالإضافة إلى ذلك قدم المسيري نقدًا كليًا للحضارة الغربية يساعد على كشف الغطاء عن ظاهرة المركزية الغربية ويوضحها بشكل أكبر. وتم اختيار برنارد لويس لأنه يعد أحد أعمدة الفكر الاستشراقي الغربي، وقد لقب بشيخ المستشرقين، حيث تعد أفكاره الأكثر قبولاً ورواجًا في العالم الغربي، ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

لذا، تمحورت المشكلة البحثية حول السؤال البحثي الرئيس الآتي:

كيف تم طرح موضوع الحضارة الغربية في ضوء المركزية الغربية؟ وما هي الاستجابة العربية لهذا الطرح؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية الآتية: –

1- ما هي رؤية برنارد لويس للحضارة الغربية؟

2- كيف قاوم المسلمون الحضارة الغربية؟ وكيف تقبلوا معطيات هذه الحضارة تدريجيًا؟

3- ما هي رؤية عبد الوهاب المسيري للحضارة الغربية؟

4- ما هي نظرية أرنولد توينبي حول التحدي والاستجابة؟ وما مدى صحة فرضياتها وفقًا للدراسة؟

أهمية الدراسة:

تقدم هذه الدراسة تراكماً علمياً لكل الدراسات التي تناولت المركزية الغربية وهيمنة الحضارة الغربية، وما تمثله هذه الدراسة من إضافة هو تقديمها لمفهوم المركزية الغربية بشقيه النظري والتطبيقي، حيث ستتناول الدراسة الشق النظري من خلال شرح المركزية الغربية، وعلاقة هذا المفهوم بالحضارة. وتقدم الدراسة الشق التطبيقي للمركزية الغربية من خلال تناولها لرؤية غربية التمركز للحضارة الغربية في ضوء المركزية الغربية لأحد أعمدة الفكر الاستشراقي (برنارد لويس) من جانب، كما ستقدم الدراسة رد الفعل العربي الإسلامي لهذه الرؤية من خلال تحليل كتابات أحد أهم أعمدة المدرسة الفكرية العربية النقدية (عبد الوهاب المسيري) من جانب آخر، حيث ستقدم الدراسة رؤية مقارنة بين الفكر غربي التمركز والفكر المضاد للمركزية الغربية. وبذلك تكون الدراسة قد تناولت المركزية الغربية بشقيها النظري والتطبيقي. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسة ستتناول موضوع الحضارة الغربية من مدخل تحليلي مختلف وهو المركزية الغربية مما سيساهم في تناول هذا الموضوع برؤية مختلفة، كما سيساهم كذلك في تعميق فهم الأبعاد الضمنية للمركزية الغربية.

الدراسات السابقة:

انقسمت الأدبيات في تناولها للمركزية الغربية إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول:

يتحدث هذا الاتجاه عن التقدم الغربي وعن الحضارة الغربية التي انفردت بالثورة الصناعية والثورة العلمية في نهاية القرن التاسع عشر، ويؤكد هذا الاتجاه على نقاء هذه الحضارة حيث إن جذورها تمتد من الحضارة الإغريقية / الرومانية، وأن ما قامت به البلدان الإسلامية هو فقط نقل هذه الحضارة للدول الأوروبية.

ويؤكد هذا الاتجاه على أنه ما كان لغير الحضارة الغربية أن تحقق ما وصلت إليه، فهي الوحيدة القادرة على تحقيق الريادة في التقدم بمفردها، وذلك لما تتسم به هذه الحضارة من صفات العقلانية والعلمية والتحكم في الذات والاستقلالية والتسامح والصدق والديمقراطية والحرية والتحضر. ويقدم هذا الاتجاه الصورة المعاكسة للآخر والذي يصفه بالتواكل واللاعقلانية وإيمانه بالخرافات وجهله وغيرها من الصفات التي من شأنها تعميق الفجوة بين الأنا والآخر. ويرى هذا الاتجاه أن الحاضر هو الأفضل وأن الماضي يؤدي حتمًا إلى الحاضر، حيث إن التقدم الغربي هو الهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه الجميع، ولا يستبعد هذا التوجه استخدام القوة لإرغام الآخر على اللحاق بركب الحضارة وذلك لما فيه الخير له، ولأنه غير قادر على تحديد ما هو صالح له، كما أن استمرار الدول غير الغربية في تخلفها من شأنه التأثير على الحضارة الغربية ذاتها والإضرار بمصالحها.

ويستند هذا التيار في تفوق الثقافة الغربية على ثلاثة عناصر رئيسية كانت سبب في تميزها عن غيرها من الثقافات وهي: العقل، وحقوق الفرد، والعلوم والتكنولوجيا، ويدعم هذا التيار نشر الثقافة الغربية بوصفها بالعالمية.

ومن أنصار هذا الاتجاه، برنارد لويس في كتاب له الإسلام والغرب[78]، وصمويل هنتجتون في مقالته: "صدام الحضارات[79]، وفرنارد بردويل فى كتابه تاريخ حضارة[80]، وماكدونالد في كتابه:

[78] Lewis, B. (1994). *Islam and the West*, Oxford University Press: New York (NY).

[79] Huntington, S. (1993). The Clash of Civilization, *Foreign Affairs Journal*, June.

[80] Braudel, F. (1995). *A History of Civilizations*, penguin group, London.

"السلوك الديني والحياة في الإسلام [81]، وديفيد جوردون في كتابه تقرير المصير والتاريخ في العالم الثالث[82]، وسانيا حمادي في كتاب: "المزاج النفسي العربي والشخصية العربية [83].

وكان لهذا الاتجاه أنصاره في الفكر العربي الذين دعوا إلى اللحاق بركب الحضارة الغربية والتخلي عن المعتقدات البالية لتحقيق التقدم، مثل مراد وهبة في كتابه " جرثومة التخلف"[84]، وأيضاً داريوش شايغان في مقالة له بعنوان "أوهام الهوية[85].

الاتجاه الثاني:

يقوم هذا الاتجاه بكشف زيف المركزية الغربية وما تتبعه هذه الظاهرة من سلوكيات تبدأ بافتراض التفوق المطلق للغرب، وافتراض أنهم أكثر تقدماً وتحضراً عن غيرهم من المجتمعات مما يجعل ما وصلوا إليه هي النقطة التي على الجميع الوصول إليها، ويرى هذا الاتجاه أن هذه الرؤية غربية التمركز تنتج عن الافتراضات والقوالب التي وضعها المستشرقون وأضفوا عليها صفة العلمية في حديث مغلف بمشاعر الإثنية والعنصرية.

ويرى هذا الاتجاه أن المركزية الغربية كانت أداة إمبريالية تسيطر من خلالها البلدان الغربية على غيرها من البلدان، وتقدم من خلالها الدليل بأن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي تستطيع ريادة التقدم. ومن هنا، يفترض الغرب أن التقدم له معنى واحد وهو التقدم الغربي، وأن الحضارة أيضاً على الرغم من أنها تختلف من مكان إلى آخر ومن رجل إلى آخر فإنها تختزل فقط في الحضارة الغربية. ويرى هذا الاتجاه أن الغرب قد أغفلوا الدور الذي لعبته الحضارة الإسلامية في وضع أساس الحضارة الغربية، وما قدمته لهم من علوم فى مختلف التخصصات، كما

---

[81] Macdonald, D. (1965). *The Religious Attitude and Life in Islam*, the University of Chicago press, Chicago.

[82] Gordon, D. (1971). *Self-Determination and History in the Third World*, Princeton University Press, Princeton.

[83] Hamady, S. (1960). *Temperament and Character of the Arabs,* Newyork: twayne publishers, Newyork, NY.

[84] وهبة، م. (1998). جرثومة التخلف، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

[85] شايغان، د. (1993). أوهام الهوية، ترجمة محمد على مقلد، دار الساقي: بيروت

يلقى الضوء على المخاطر التي تتعرض لها البلدان العربية والإسلامية بدون وعى، بالإضافة إلى أخذ مؤشرات التقدم والتخلف من الحضارة الغربية رغم أن هذه الحضارة قد قامت على أسس تتلاءم مع ظروفهم هم، وما نتجت عنه المركزية الغربية من نشر الفكر الداروينى والمادية المفرطة والاستهلاكية والاهتمام بالفرد على حساب المجتمع ومحاولة محو كل المرجعيات الدينية والثقافية والاجتماعية.

ومن أنصار هذا الاتجاه إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق"[86] ، وعبد الوهاب المسيري في كتابه "فقه التحيز"[87]، ومالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة[88]، وعبد الله إبراهيم في كتابه المركزية الغربية12[89] ، وسعيد شبار في دراسة له" بعنوان من مظاهر التحيز في الثقافة الإسلامية وتأثيرها على إمكانات الأمة في العطاء والتفاعل الكوني[90].

وعلى مستوى الفكر الغربي فنجد أن من أنصار هذا الاتجاه بيتر جران في كتابه "ما وراء المركزية الأوروبية[91]، وأرنولد توينبي في موسوعته "دراسة للتاريخ[92] ، وجون هوبسون فى كتابه الأصول الشرقية للحضارة الغربية[93].

التعليق على الدراسات السابقة

---

[86] سعيد، أ. (1995). الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية: القاهرة.

[87] المسيرى، ع. (1998). فقه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمى للفكر الإسلامى: فرجينيا.

[88] نبي، م. (1986). شروط النهضة، ترجمةعبد الصبور شاهين، دار الفكر: دمشق.

[89] إبراهيم، ع. (1997). المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي: بيروت.

[90] شبار، س. (2018). من مظاهر التحيز في الثقافة الإسلامية وتأثيرها على إمكانات الأمة في العطاء والتفاعل الكوني، مركز دراسات المعرفة والحضارة، متاح على الرابط التالي: https://shorturl.at/0sSsB

[91] جران، ب. (1998). ما بعد المركزية الأوروبية، ترجمة: عاطف أحمد إبراهيم ماجد، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة.

[92] توينبي، أ. (1966). مختصر دراسة التاريخ (المجلد الثالث)، ترجمة فؤاد محمد شبل، القاهرة.

[93] Hobson, J. (2004). *The Eastern Origins of the Western Civilization*, Cambridge University Press: London.

اشتملت الدراسات السابقة على اتجاهين، الأول مدافع عن الحضارة الغربية، والثاني ناقد لهذه الحضارة؛ فنجد دراسات (أجنبية وعربية) تناولت الحضارة الغربية وتفردها، وأن الحضارة مختزلة فقط في الحضارة الغربية دون سواها من الحضارات الأخرى. وعلى الجانب الآخر نجد دراسات أخرى (عربية وأجنبية) حاولت كشف زيف المركزية الغربية والتفوق المطلق للغرب. لكن، ما يميز هذه الدراسة أنها تناولت الحضارة الغربية من مدخل تحليلي جديد وهو المركزية الغربية، حيث تناولت المركزية الغربية كإطار نظري، ورؤيتي برنارد لويس وعبد الوهاب المسيري للحضارة الغربية في إطار المركزية الغربية كإطار تطبيقي. ويمثل الجضارة الغربية والدفاع عنها برنارد لويس، مما شكل تحديًا واجه المفكرين العرب، فكانت الاستجابة، التي يمثلها عبد الوهاب المسيري، وذلك وفقًا لنظرية التحدي والاستجابة ل أرنولد توينبي المستخدمة في الدراسة.

منهج الدراسة

المنهج المقارن

تستخدم الدراسة المنهج المقارن في المقابلة بين الفكر والفكر الآخر، وبموجبها نستطيع تمييز أوجه التشابه وأوجه الاختلافات الفكرية المتعارضة، والتحليل المقارن من شأنه تحفيز الباحث على الاهتمام بمتغيرات جديدة، واستلهام فروض جديدة، والمقارنة تسهم في توفير درجة من العمومية بالتحقق من النتائج في ثقافات مختلفة[94] ، وستقوم الدراسة باستخدام المنهج المقارن للتعرف على فكر كل من برنارد لويس وعبد الوهاب المسيري في إطار مقارن، وفى ضوء اختلاف المدارس الفكرية التي يتنمى إليها كل مفكر، مما سيساعد على التعرف على أوجه الاتفاق بينهما رغم اختلاف مدارسهما الفكرية، وكذلك التعرف على أوجه الاختلاف، مما سيساعد الباحث على الوصول إلى نتائج من الممكن تعميمها، بالإضافة إلى ذلك فسيساعد

[94] المتولي، س. (2009). *العمران السياسي لدى ابن خلدون دراسة في العلاقة بين الفساد والاستبداد*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

استخدام المنهج المقارن على دعم القدرة التحليلية مما سيساهم في تقديم عرض أوضح وأكثر تفسيرًا لرؤية المفكرين موضع الدراسة.

النظرية المستخدمة

نظرية أرنولد توينبي (التحدي والاستجابة)

تمثل نظرية أرنولد توينبي، المؤرخ الإنجليزي، حول التحدي والاستجابة الإطار العام والمحرك الرئيسي الذي قامت عليه الدراسة، والذي تمت الاستعانة به في تقسيمها فهي بمثابة الأساس النظري للدراسة.

يرى أرنولد توينبي أن المجتمعات تتلاقى فيما بينها وأنه لا محيص أثناء هذا التلاقي أن يكون هناك متعد يقابله في الجانب الآخر ضحية للعدوان، ويستخدم توينبي في نظريته مصطلحين آخرين وهما "التحدي" و "الاستجابة"[95] .

ويرى أن التلاقي بين المجتمعات يحدث عندما يصيب الإشعاع الفكري لحضارة ما جسمًا اجتماعيًا غريبًا، ويقابل هذا الإشعاع الفكري بمقاومة نفسية دفاعية من المجتمع الغريب، حيث تقوم هذه المقاومة بتجزئة هذا الإشعاع الفكري كما يجزئ النور المنشور الشعاع الضوئي ويعطى ألواناً طيفية. وكما أكد علم البصريات، أن بعض أجزاء الطيف تتمتع بقوة أكثر من غيرها في التسرب، فعناصر الإشعاع الفكري كذلك تتمتع بعضها بقوة أكثر عن غيرها في التسرب.

وتتمثل الفرضيات الرئيسية لنظرية أرنولد توينبي فيما يلي:

– أن المجتمعات تتلاقى فيما بينها، وأنه لا محيص أثناء هذا التلاقي أن يكون هناك متعد يقابله في الجانب الآخر ضحية للعدوان، وهو ما تحدث عنه توينبي بـ "التحدي" و"الاستجابة".

[95] توينبي، أ. (1966). مختصر دراسة التاريخ (المجلد الثالث)، ترجمة فؤاد محمد شبل، القاهرة.

– عندما تحاول أي حضارة فرض إشعاعها الفكري على مجتمع آخر (التحدي)، يُحدث هذا المجتمع مقاومة نفسية دفاعية من المجتمع الغريب (الاستجابة)، حيث تقوم هذه المقاومة بتجزئة هذا الإشعاع الفكري كما يجزئ النور المنشور الشعاع الضوئي ويعطى ألواناً طيفية.

– تستطيع الأفكار الثانوية لحضارة ما أن تخترق المجتمعات الأخرى بقوة أكثر من الأفكار الحضارية الحيوية.

– إذا قام عنصر حضاري ما بتثبيت جذوره في مجتمع جديد، فإنه يحاول جذب غيره من الأفكار الحضارية لتشكيل كل عضوي حضاري، ففي التلاقي بين الحضارات، لا بد أن يؤدى تطور ما إلى تطور آخر بمجرد حدوث فجوة مهما كانت صغيرة في دفاع الحضارة التي هي موضع الهجوم.

– أي حضارة تشكل كلًا واحد، فلا يمكن فصل جزء منها عن باقي الأجزاء الأخرى، وإذا انفصل عنصر منها عن باقي العناصر الحضارية الأخرى تعذر عليه أن يبقى على حالته الأصلية، بل قد يصبح فتاكًا في المجتمع الجديد الذي يخترقه، "فما يشفى هذا قد يقتل ذاك"[96].

وتطبيقاً على الدراسة، فمن الجدير بالذكر بأن الغزو الفكري من قبل مجتمع ما يمثل تحديًا بالنسبة للمجتمع الذي يتم غزوه، وبالتالي فإن المجتمع الغريب يقوم ب "الاستجابة" لذلك الغزو الفكري، وقد ينجح في التصدي لهذا الفكر، وقد تنجح بعض الأفكار في الاختراق وتفشل أفكار أخرى في ذلك، ولأن المركزية الغربية تعد محاولة غربية تعمل على توجيه العالم أجمع نحو استبطان "فكرة" التفوق الغربي المطلق"، وتطبيقاً على البلدان العربية الإسلامية، فإن المركزية الغربية تمثل (تحديًا) يقاومه المجتمع العربي الإسلامي (الاستجابة).

تقسيم الدراسة

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور: **المحور الأول** يمثل الجانب النظري للدراسة بعنوان المركزية الغربية، الذي يشتمل على مفهوم المركزية الغربية، ومفهوم الحضارة وعلاقته بمفهوم المركزية الغربية. **المحور الثاني والثالث** يمثلان الجانب التطبيقي للدراسة، فجاء **المحور**

[96] توينبي، أ. (1966)، المرجع السابق، ص ص 7-13.

الثاني بعنوان رؤية برنارد لويس للحضارة الغربية (تلك الرؤية التي تمثل تحديًا للمجتمع العربي الإسلامي وفقًا لنظرية توينبي)، أما **المحور الثالث** فحمل عنوان رؤية عبد الوهاب المسيري للحضارة الغربية (تلك الرؤية التي تمثل الاستجابة وفقًا لنظرية توينبي).

المحور الأول: المركزية الغربية

1-1 مفهوم المركزية الغربية:

"إن الغرب ينبغي النظر إليه ضمن كيان جغرافي: أوروبا، وضمن ديانة: المسيحية، وضمن فلسفة: التنوير، وضمن عرق: العرق الأبيض، وضمن نظام اقتصادي: الرأسمالية، إلا أن الغرب لا يتطابق مع أية ظاهرة من هذه الظواهر"[97].

تشكل أوروبا نواة الغرب، والتطور التاريخي لأوروبا يشكل تاريخ ولادة الغرب الحديث، وقد تمت الاستعاضة بمفهوم الغرب بدلاً من أوروبا وذلك حتى تزال من أوروبا أجزاؤها التي لا تتفق مع المبادئ التي تدين بها أوروبا الغربية، إلا أن أوروبا لم تفقد مكانتها كليًا، فهي المرجع التاريخي لأمريكا وأستراليا وحتى لروسيا على مستوى الحضارة العلمية والتقنية. يقول صمويل هانتينجتون "من الناحية التاريخية فإن الحضارة الغربية هي حضارة أوروبية، وفى العصر الحديث الحضارة الغربية هي حضارة أوروبية أمريكية أو شمال أطلسية"[98] .

وفي هذا الصدد يقول مرسيليا إلياد "بينما كانت أمريكا القرن التاسع عشر، تعرف نفسها بأنها مختلفة عن أوروبا ومضادة لها، فإن أمريكا منذ القرن العشرين بدأت تعرف نفسها كجزء والحقيقة كقائد لكيان أوسع وهو الغرب الذي يضم أوروبا"[99]. ولذلك كان اختيار الباحث

---

[97] فرج، أ. (2000). *المركزية الغربية من التمركز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر*، هيئة الأعمال الفكرية: القاهرة، ص 20.

[98] جران، ب. (1998). ما بعد المركزية الأوروبية، ترجمة: عاطف أحمد إبراهيم ماجد، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة.

[99] فرج، أ. (2000). *المركزية الغربية من التمركز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر*، هيئة الأعمال الفكرية: القاهرة، ص. 170.

لمصطلح "المركزية الغربية" بديلاً عن مصطلح "المركزية الأوروبية" الذي ظل سائداً وسط الدوائر الأكاديمية لفترات طويلة.

"المركزية الغربية هي نوع من التمركز حول الذات، بوصفها المرجعية الأساسية لتحديد أهمية كل شيء وقيمته، وإحالة الآخر إلى مكون هامشي لا ينطوي على قيمة بذاته، إلا إذا اندرج في سياق المنظور الذي يتصل بتصورات الذات المتمركزة حول نفسها[100] (إبراهيم، 1997: 9).

فالمركزية الغربية هي "تعبير عن شعور عام بتفوق الغرب على الشرق"[101]، فهي افتراض الغرب بأنه مركز الكون، ومن ثم يدور في فلكه العالم غير الغربي. وتكون المعايير، التي تحكم على كل مناحي الحياة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية الثقافية، معايير غربية، ويكون الصواب والخطأ وفقا للمنظور الغربي.

وتعتبر المركزية الغربية من أهم الظواهر الاجتماعية الحالية، وتكمن أهميتها في كونها ظاهرة ضمنية؛ أي أنها ناتجة عن قناعات ثابتة داخل الوعي الذاتي لا تدخل في إطار التقييم والنقد[102]، ومن ثم فهي تتطلب التفكير فيها وليس التفكير بها[103] . حيث افترضت وجود "غرب فريد" كما افترضت وجود "شرق مضاد"[104]. فلكي تظل فكرة أوروبا حية، أوجدت لنفسها ما ليس أوروبيًا، وأصبح عليها أن تحطم أي مفهوم بديل للتاريخ، بمقدوره أن يتحدى ثنائية "أوروبا / غير أوروبا" لأن أوروبا في هذا النموذج تظل قائمة فقط لأنها مختلفة عن "غير أوروبا"، وما ليس أوروبياً يجب أن يظل على طرف نقيض أي أن يظل غريبًا أو بدائيًا [105].

---

[100] إبراهيم، ع. (1997)، مرجع سبق ذكره، ص. 9.
[101] جودي، ج. (2008). *الشرق في الغرب*، المنظمة العربية للترجمة: بيروت.
[102] إبراهيم، ع. (1997)، مرجع سبق ذكره، ص.5
[103] إبراهيم، ع. (1997)، المرجع السابق، ص.9
[104] Amin, S. (1989). Eurocentrism, Monthly Review Press.
[105] جران، ب. (1998)، مرجع سبق ذكره، ص. 25.

لذا، تعد المركزية الغربية الوسيلة الرئيسية لإضفاء الشرعية على النظام الرأسمالي العالمي الذي يسعى إلى تعميق الاستقطاب الذي فرضه هذا النظام، فتسعى هذه الظاهرة إلى تعميق الإحساس بالتفوق الغربي بشكل مطلق على كافة المجتمعات الأخرى، ومن ثم تتحقق شرعية استغلالها.

2-1 مفهوم الحضارة وعلاقته بالمركزية الغربية

إن مفهوم الحضارة بمعناها العام هو مطلق الحضور، أي طبيعة ونسق حضور أية تجربة بشرية استطاعت أن تصوغ نموذجاً بشرياً للحياة بكل أبعادها ونواحيها، وتسعى لتقديمه للآخرين ليقتدوا به ويسيروا وفق منظومته على أساس أنه النموذج الأجدر بالاتباع، ومن ثم فأهم عنصر لقيام حضارة هي صفة الحضور والمتمثلة في تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به. وكل حضارة ينبغي أن تتبنى موقفاً من الخمسة أبعاد التالية: (١) وجود نسق عقيدي يحدد العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله سلباً أو إيجاباً، (٢) وجود نسق فكرى سلوكي يحدد القيم والأخلاقيات العامة والأعراف (٣) وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والفنون وجميع الأبعاد المادية في الحياة، (٤) تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته (٥) تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى وأسس التعامل معها. ووفقاً لهذه الأبعاد نستطيع أن نتعرف على نموذج كل حضارة وتقويمها [106].

ومن ثم، فينبغي لأي مجتمع حينما ينظر إلى أي حضارة أن يقيس موقفها من العناصر سالفة الذكر لمعرفة مدى تناسبها مع مجتمعه وأن يتم ذلك في إطار مقارن مع الحضارات الأخرى، وبالتالي يتضح وزن كل حضارة وما تضيفه لتاريخ الإنسانية.

أما عن تشكيل الحضارة فيوضحها مالك بن نبي، ويقول "إن الحضارة تتشكل من مجموع ثلاثة عناصر رئيسية وهى: الإنسان + الوقت + التراب، فالإنسان والذى يتميز بكونه كائنًا اجتماعيًا يكون شبكات العلاقات الاجتماعية والتي إن نجحت في تنظيم هذه العلاقة

[106] عارف، ن. م. (2008). الحضارة - الثقافة - المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، في: سيف الدين عبد الفتاح، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، دار السلام: القاهرة، ص. 298.

وتحديد الهدف وكان لديها القدرة على العمل المشترك، فإن العنصر الرئيسي لتكوين الحضارة يكون قد اكتمل، كما أن الحضارة ينبغي أن تقوم على أرض أو مكان محدد (التراب)، وفي زمان محدد (الوقت)، وبالتالي فإن الإنسان يشكل الحضارة في الزمان والمكان المحددين، إلا أن هناك ما يسمى بالمركب الحضاري الذي يؤثر في مزج الثلاثة عناصر بعضها ببعض ليشكل حضارة، وهذا المركب الحضاري متمثل في الفكرة الدينية التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ، فلا يختلف تطور الحضارة المسيحية عن تطور الحضارة الإسلامية فكلاهما انطلقا من الفكرة الدينية". وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي "علينا أن نبحث في كل حضارة من الحضارات عن أصلها الديني، وليس من الغلو في شيء أن يجد التاريخ في البوذية بذور الحضارة البوذية، وفى البرهمية نواة الحضارة البرهمية"[107] .

وهناك علاقة وطيدة فيما بين القيم وبين قيام الحضارة، فمعنى التحضر أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، وبالتالي فهناك حاجة إلى مجموعة من المبادئ الأخلاقية لتنظيم هذه العلاقات، وإننا لنجد أن جميع المبادئ الأخلاقية للتعاليم المقدسة التي اتخذتها الإنسانية المتحضرة، ما هي إلا تطبيقاً لتعاليم أخلاقية مشتركة يختلف تطبيقها فقط وفقاً لاختلاف ظروف التاريخ الإنساني، وهو ما يعكس أهمية القيم والأخلاق في تنظيم العلاقات الاجتماعية التي تشكل نواة الحضارة[108].

وبالتالي فكلما حدث إخلال في النظام الخلقي لمجتمع ما، حدث تمزق في شبكة العلاقات الخاصة به، ومن ثم انهارت الحضارة[109] ، ومن الجدير بالذكر بأن الحضارة هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي (البيولوجي) حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها. ومن ثم، فإن شراء المنتجات الحضارية لحضارة ما لا يستطيع أن يبنى حضارة، ويقول مالك بن نبي "ليس من الواجب لكي ننشئ حضارة أن نشترى منتجات

[107] نبي، م. (1979). ميلاد مجتمع، دار الفكر: دمشق، ص ص. 55-56.
[108] نبي، م. (1979)، المرجع السابق، ص. 56.
[109] نبي، م. (1979)، المرجع السابق، ص. 53.

الأخرى، كذلك من المستحيل أن تبيع حضارة كل الأشياء التي تنتجها ومشتملاتها، أي أنها لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها، فنحن عندما نشترى منتجاتها فإنها تمنحنا هيكلها وجسدها لا روحها "[110] .

وبعد أن استعرضنا مفهوم الحضارة، فإننا نستطيع أن نربطه بمفهوم المركزية الغربية، فالحضارة الغربية وفقاً للمفهوم كما تم توضيحه لها موقف من الأبعاد التي تم ذكرها سلفاً، "فلها موقف من عالم الغيب والإله، ولها بناء فكرى وقيم وسلوكيات معينة، وكذلك لديها بناء مادي له خصائص معينة لها نمط في التعامل مع المجتمعات الأخرى. وبالتالي فإذا أردنا وصف الحضارة الغربية، فإننا لا بد من دراسة موقفها من هذه الأبعاد لمعرفة ما إذا كان النموذج الذي تقدمه يصلح للاقتداء به أم لا"[111]. وهذه الطريقة في وصف الحضارة الغربية ينتج عنها نظرة نقدية وموضوعية للحضارة الغربية، كما أنه سيعيد الحضارة الغربية بين صفوف التشكيلات الحضارية التي ساهمت في التاريخ الإنساني وبالتالي من الممكن أن تتم مقارنة التشكيل الحضاري الغربي بغيره من التشكيلات الحضارية، وتحديد من ثم المعطيات الحضارية المناسبة لكل مجتمع.

أما ما يحدث حالياً في ضوء علاقة مفهوم المركزية الغربية بمفهوم الحضارة، هو أنه يتم اعتبار لفظ الحضارة تعبيراً عن الحضارة الغربية، وهو وفقاً للرؤية غربية التمركز يحمل قيمة حسنة في ذاته، كما أنه يتم الترويج لفكرة العالمية واللحاق بالركب الحضاري وهو المقصود به النموذج الحضاري الغربي، فالحضارة الغربية تفترض التفرد الحضاري، وبأنها توصلت إلى ما لم تتوصل له الإنسانية كافة.

وبالطبع فلا يمكن أن ينكر أحد الإنجازات العلمية والتكنولوجية التي تميزت بها الحضارة الغربية والتي لم تتوصل لها حضارة أخرى قبلها، إلا أنه ما ينبغي التأكيد عليه هو أن كل حضارة لها إسهاماتها في التاريخ الإنساني، ولا يمكن تجاهل التاريخ الإنساني الذي تم إثراؤه

[110] نبي، م. (1986)، مرجع سبق ذكره، ص. 47-48.
[111] عارف، ن. م. (2008)، مرجع سبق ذكره، ص.298.

بمختلف الحضارات. وما نشهده اليوم من الترويج للحضارة الغربية وربطها بأي مساعي للتقدم، فهو وليد المركزية الغربية التي تفترض التفرد والتفوق المطلق، وبأن النموذج الحضاري الغربي هو النموذج الأفضل والأجدر بالاتباع.

المحور الثاني: رؤية برنارد لويس للحضارة الغربية (التحدي)

سيوضح هذا المحور مدى أثر المركزية الغربية على الجانب الفكري والتي أنتجت الفكر الاستشراقي الذي يتم تمثيله من خلال عرض الرؤية الفكرية لبرنارد لويس. وقد تأثر لويس بالمركزية الغربية، حيث اعتبر الغرب هو المركز والمعيار. وجدير بالذكر بأن برنارد لويس يخاطب "الدول العربية الإسلامية" ب "الشرق الأوسط" وهو تفسير للرؤية غربية التمركز التي تقدم الغرب باعتباره "الأنا" الذي يدور في فلكه العالم أجمع، ولذلك فإن الدول العربية جغرافيًا وفقاً لهذه الرؤية تمثل الشرق الأوسط لقارة أوروبا.

وعليه، سوف يستعرض هذا المحور رؤية برنارد لويس للحضارة الغربية، فيوضح كيف قدم لويس هذه الحضارة وكيف تعامل معها، كما سيوضح رؤيته حول تعامل واستقبال الشرق الأوسط للحضارة الغربية ومعطياتها،

ولتوضيح هذه الرؤية، فإن هذا المحور سوف يتناول النقاط التالية:

أولاً: الحضارة الغربية في فكر برنارد لويس

ثانيًا: مقاومة المسلمين للحضارة الغربية

ثالثًا: القبول التدريجي لمعطيات الحضارة الغربية

2-1 الحضارة الغربية في فكر برنارد لويس

لقد لخص برنارد لويس مشكلة التقدم في البلدان العربية الإسلامية حينما قال" كان الشرق الأوسط في الماضي مهد الحضارة الإنسانية والديانات التوحيدية. وفى العصور الوسطى، كان موطن أول مجتمع عالمي ذي ثقافة بينية وكان مصدر ابتكارات وإنجازات عملاقة في كل حقل تقريباً من حقول العلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون حتى القرن السابع عشر. ومنذ ذلك الوقت لم تنشأ في الشرق الأوسط قوى عظمى ولا يبدو أن ذلك ممكناً حتى

يحل الشرق الأوسط مشاكله السياسية والاقتصادية والثقافية والمجتمعية التي تمنعه من تحقيق الخطوة التالية في التقدم الحضاري"[112].

إن الفكرة الرئيسية التي أكد عليها برنارد لويس في حديثه عن الحضارة العربية الإسلامية هي أن الحضارة الغربية هي حضارة العصر، ومن ثم هي التي تحدد معايير وشروط الحداثة. ويوضح لويس فكرته ويقول" في كل عصر من عصور التاريخ الإنساني، كانت الحداثة أو ما يعادلها من مصطلحات تعنى الطرائق والأعراف والمعايير الخاصة بالحضارة السائدة، والآخذة في التوسع، ولقد فرضت كل حضارة سائدة حداثتها في زمن ازدهارها مثل الممالك الهيلينية، والإمبراطورية الرومانية، والدول المسيحية القروسطية، والإسلام إلى جانب الحضارات القديمة في الهند والصين. واليوم نرى ولو بصفة مؤقتة، فإن الحضارة السائدة هي الحضارة الغربية وأن المعايير الغربية هي التي تحدد – من ثم – معنى الحداثة[113]. وينتقل لويس إلى نقطة محورية تتعلق بالحضارة الغربية، وهي التكامل فيما بين المعايير والأسس الحضارية التي تقدمها الحضارة الغربية، فلويس يرى أنه لا يمكن التعامل مع الحضارة الغربية كوحدات متفرقة، وإنما ينبغي أن ننظر إلى الحضارة الغربية وكل ما أسهمت به كوحدة حضارية متكاملة وليس كأجزاء منفصلة[114].

ويفرق برنارد لويس بين الحداثة الداخلية والحداثة الخارجية قائلا "إن الحداثة الخارجية هي الأخذ بقشور الحداثة الغربية دون اتباع طريق الحداثة الحقيقي والذي يتطلب تقبل العلم الغربي والظروف المنتجة لهذا العلم ومحيط استخدامه، بينما تتمثل الحداثة الداخلية في تقبل الحضارة الغربية ذاتها بكل أساليبها وطرقها وشروطها". فيقول لويس "فاللحاق بركب العالم

---

[112] لويس، ب. (2003). *أين الخطأ، التأثير الغربي واستجابة المسلمين*، ترجمة د .محمد عناني، دار سطور :القاهرة، ص.131.

[113] Lewis, B. (1997). The West and the Middle East, Foreign Affairs Journal, january 1997.

[114] لويس، ب. (1999). *الغرب والشرق الأوسط بسجال وتباين*، ترجمة، سمير مرقص، ميريت للنشر والمعلومات :القاهرة، ص. 17.

الحديث يعنى أكثر من استعارة التكنولوجيا الحديثة أو شراؤها، إنه يعنى التحول إلى جزء من العملية التي تنتج هذه التكنولوجيا، أي المرور عبر الثورة الفكرية للتحول الاقتصادي والاجتماعي وفى النهاية السياسي الذي يسبق التغيير التكنولوجي ويرافقه ويليه[115] .

ويتضح لنا هنا رؤية لويس حول السبيل للتعامل مع الحضارة الغربية، فأولاً: الحضارة الغربية هي التي تحدد معايير وشروط الحداثة، وثانياً: فالحضارة الغربية تعتبر كلاً واحداً لا يمكن فصل بعض معطياتها الحضارية عن الأخرى، فمحاولة النظر إلى المنتجات الحضارية الغربية باعتبارها سلعاً من الممكن شراء بعضها وترك البعض الآخر لا يحقق الهدف المرجو منه، كما أكد برنارد لويس، بل إن السلع المنتقاة قد تزيد الأمور سوءً.

ويؤكد برنارد لويس من خلال فكرته، التي تؤكد على أن الحضارة الغربية تعد كلاً واحداً غير منفصل، على فرضية أرنولد توينبي والتي تقول "إن أي حضارة تشكل كلاً عضوياً، أجزاؤه متداخلة بحيث إنه لو تم فصل أحد هذه الأجزاء عن إطارها الأصلي يصعب عليها أن تبقى على حالتها الأصلية" فما يشفي هذا يقتل ذلك" [116].

ولذلك فإننا نجد برنارد لويس يشيد بالتجربة التركية بقيادة كمال الدين أتاتورك الذي أدرك أن التقدم واللحاق بالركب الحضاري يتطلب استيعاب الحضارة الغربية كاملة والسير على دربها وتقبل شروطها ومعاييرها، فيقول لويس "لقد أحدثت تركيا تغيرات في الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية والتي صحبها تغيرات اقتصادية وسياسية"، حيث تبنى أتاتورك الممارسات الأوروبية في الحياه العامة والتي شملت بعض الأمور الدينية مثل فرض الزواج من امرأة واحدة فقط، وتغيير اللغة العربية واستبدالها باللغة التركية اللاتينية ومنع ارتداء العمائم واستبدالها بالقبعات[117]. ويضيف لويس أن تركيا قد حققت تقدماً اقتصادياً نتيجة لسياسات

---

[115] لويس، ب. (2000). *تنبؤات برنارد لويس -مستقبل الشرق الأوسط*، ترجمة :دار الرياض الريس، دار الرياض الريس : بيروت، ص. 109.

[116] توينبي، أ. (2014). *بحث في التاريخ*، ترجمة وتعليق طه باقر، المجلد الأول، الوراق للنشر: بغداد، ص.303.

[117] Lewis, B. (1994). Why Turkey Is the Only Muslim Democracy, *Middle Eastern Quarterly*, March, available at: https://shorturl.at/TQbZN

اقتصادية ومجتمعية اتخذتها، بالإضافة إلى قيامها بتعزيز المجتمع المدني لديها من صحافة واتحادات تجارية، حيث قامت بتفعيل دور الطبقة الوسطى والتي تعد أساساً للمجتمع المدني مما أدى بدوره إلى تفعيل المؤسسات الديمقراطية فضلاً عن قيام تركيا بتفعيل مبادئ العلمانية واستبدالها القوانين الشرعية بأخرى مدنية. ويرى لويس بأن تركيا تعد من أنجح وأقوى التجارب الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي، وأن كل هذه السياسات المتكاملة التي اتخذتها تركيا أدت إلى تقدمها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية والمجتمعية والثقافية[118] .

إن فكر برنارد لويس وغيره من المفكرين الغرب حول ضرورة الاتباع الكامل لمعطيات الحضارة الغربية، وبأن التقدم لا يمكن أن يتم من خلال عملية الاختيار والتي يتم فيها استبعاد العناصر غير الملائمة للظروف المجتمعية والثقافية للشعوب، قد وجد صداه فيما بين صفوف الفكر العربي كذلك، مما يعكس مدى تأثير ذلك الفكر، فنجد أن زكى نجيب محمود يتحدث في كتابه" ثقافتنا في مواجهة العصر" عن مشكلة التقدم في العالم العربي الإسلامي، فيقول "إن جواز المرور الذى يبيح لنا الدخول في عصرنا، هو أن نطور من قيمنا السائدة لكى تصبح قيماً قائمة على علمنة، وعلى تقنية، وعلى منفعية في أسس التعامل الاقتصادي والسياسي على أقل تقدير، فإن لم تعجبنا هذه الصفات لكونها غريبة على ثقافتنا الموروثة، كان علينا أحد الأمرين: إما أن نلوى عنق العصر حتى يرى الدنيا بأعيننا وإما أن ننسحب من العصر إلى حيث شئنا أن يكون الاختفاء في ستر الظلام. إن مقاييس التقدم كثيرة، وأياً كان المعيار الذي ستختاره فالشرط الضروري دائماً هو أن تتغير طرائق العيش والتفكير بحيث تساير روح التقدم العصري"[119] .

[118] Lewis, B. (1994), Ibid.

[119] محمود، ز. ن. (1976). *ثقافتنا في مواجهة العصر*، دار الشروق :القاهرة، ص ص. 204-205.

مما سبق فقد اتضحت لنا الفكرة الرئيسية لبرنارد لويس، وهى اعتبار الحضارة الغربية هي الحضارة التي لها أحقية تحديد معايير التقدم، والتي يرتبط بها فكرة أخرى وهى اعتبار الحضارة الغربية كيانًا متكاملا لا يمكن فصل بعض أجزائها عن كيانها الأصلي.

ونستطيع أن نقرأ المسكوت عنه في هذا الجانب من فكر برنارد لويس، وهو المتمثل في موقفه من الخصوصية الثقافية للمجتمعات غير الغربية، فبرنارد لويس لم يشر إلى الخصوصية الثقافية للمجتمعات، حيث قدم معايير التقدم الغربية باعتبارها حلاً مشتركاً لكل المجتمعات باختلاف خصوصياتها، وطالبها بإدخال تغيرات جذرية دون الالتفات لأي من المعايير الثقافية أو الاجتماعية الخاصة بها.

2-2 مقاومة المسلمين للحضارة الغربية

يتحدث برنارد لويس عن موقف المجتمعات غير الغربية من الحضارة الغربية، ويخصص في حديثه موقف المجتمع الإسلامي من هذه الحضارة، والذي يعتبره من أكثر المجتمعات مناهضة لها، ويعبر عن فكرته قائلاً "إن بلدان الشرق الأوسط، وهي قلب العالم الإسلامي، أكثر الدول مقاومة للحضارة الغربية ومعطياتها، وذلك في الوقت التي قبلت فيه دول أخرى الحضارة الغربية ومعطياتها وحققت نجاحاً اقتصاديًا وعلميًا لم تحققه بلدان الشرق الأوسط والتي كانت يوماً صاحبة حضارة عظيمة". ويشيد برنارد لويس ببعض الدول الآسيوية التي قبلت شروط التقدم الغربية وبدأت في ملاحقة الركب الحضاري فيقول "فقد بدأت العديد من البلدان غير الغربية خاصة دول شرق آسيا وجنوب شرقها في ملاقاة الغرب والفوز عليه، في مجالاته وشروطه في التجارة وفى الصناعة وفى إبراز القوة السياسية، بل والقوة العسكرية، وأهم من ذلك هو قبول الإنجاز الغربي واستيعابه داخلياً وخصوصاً في العلم، بل إن هذه الدول قد ساهمت في الإنجاز العلمي والذي لم يعد غربياً فقط". ويوضح لويس أنه على الرغم من أن هذه الدول ما زالت تواجهها الكثير من المشاكل والتي تحتاج إلى مزيد من الجهود بشأنها، إلا أن هذه الدول قد تقبلت السير في طريق الحداثة الغربية وقبلت شروطها[120].

[120] لويس، 2003، مرجع سبق ذكره، ص. 23.

ويقارن برنارد لويس بين موقف دول الشرق الأوسط وموقف الدول الأخرى من الحضارة الغربية فيقول "إن رفض الشرق الأوسط للحضارة الغربية يعد من الفروق البارزة بين هذه المنطقة ومناطق العالم غير الغربية الأخرى التي استطاعت أن تتحمل بصورة ما تأثير الحضارة الغربية. فالعلماء في كثير من البلدان الآسيوية يساهمون في الوقت الحاضر بمساهمات مهمة في الحركة العلمية. ونجد أن مساهمات أبناء الشرق الأوسط في المجالات العلمية والمعترف بها علمياً والتي ترصد التقدم العلمي رصداً حاسماً أدنى من مساهمات المناطق غير الغربية الأخرى، بل أدنى بكثير مما يحفل به سجل الشرق الأوسط في الماضي"[121].

ويقوم برنارد لويس بعد ذلك بالرد على من يرفض تقليد الحضارة الغربية، لأن في ذلك نفياً للإبداع والابتكار من الداخل، قائلا "فالاتباع فيه ما فيه من سوء، ولكن التلكؤ في المؤخرة أسوأ بكثير"[122]. ونستطيع أن نقرأ هنا موقف لويس من مفهوم "العقل"، فبرنارد لويس يدعو العالم إلى تحرير العقل باعتبار ذلك أهم ما ميز الحضارة الغربية وأدى إلى تقدمها، وبأن يتخلص العقل من القيود الثقافية والاجتماعية حتى يستطيع أن يلحق بالثورة العلمية والركب الحضاري. وعلى الرغم من دعوة لويس إلى تحرير العقل، فإنه لا يجد تناقضاً بين ذلك وبين دعوته للاتباع الغربي أي تقليد المسار الغربي في التقدم كما هو، وذلك ما يتنافى مع الإبداع العقلي الذي يعد الثمرة الأولى لتحرير العقل، وبالتالي فإن تحرير العقل في فكر لويس ينحصر في النطاق الغربي والرؤية الغربية للتقدم، أي أن يتم تحرير العقل وفقاً للمبادئ والمعايير الغربية، أما ما يخرج عن هذا الإطار فهو أمر غير عقلاني، بل إنه يعد تخلفاً عن الركب الحضاري.

[121] لويس،2003 ، المرجع السابق، ص. 23.
[122] لويس،2003 ، المرجع السابق، ص. 73.

وبعد قراءة فكر برنارد لويس، فقد اتضح بأن أسباب رفض بلدان الشرق الأوسط للحضارة الغربية كما قدمها لويس، تتمثل في عاملين رئيسيين: (1) معارضة وجود الحضارة الغربية (2) الدور الذى يلعبه الدين والتاريخ في حياة المسلمين.

2-2-1 معارضة وجود الحضارة الغربية

إن من الأسباب الرئيسية لرفض المجتمع الإسلامي للحضارة الغربية كما يراها لويس هي قناعة المسلمين بأن الأفكار الغربية تعد فساداً يهدد قيم ومبادئ المجتمع الإسلامي[123] ، فمن أكثر الحجج رواجًا لدى المسلمين لاعتبار الأفكار الغربية فاسدة وهدامة هي الاستهلاكية الغربية وما ينتج عنها من إفقاد الإنسان لقيمته وكرامته، بالإضافة إلى القيم الفاسدة التي تروج لها الوسائل الغربية المختلفة (السينما، التلفاز،..)[124]. ويرى لويس أن الأكثر من ذلك والأشد مناهضة من جانب البلدان الإسلامية هي الأفكار العلمانية التي يروج لها الغرب والتي يعتبرها البعض في العالم الإسلامي فصلا بين الدنيا والتنزيل الالهي، ومن ثم فيتم مقاومتها ومناهضتها بشدة[125].

وفى هذا الصدد، يقول صمويل هنتنجتون "إنهم يؤكدون على الاختلافات بين حضارتهم والحضارة الغربية، وعلى أعلوية ثقافتهم، وعلى الحاجة إلى صيانة وسلامة تلك الثقافة ضد الانقضاض الغربي عليها، إن المسلمين يخشون ويتشاءمون من القوة الغربية والتهديد الذي تسلطه هذه القوة على مجتمعهم ومعتقداتهم، إذ يرون الثقافة الغربية بأنها مادية وفاسدة، ولهذا السبب يؤكدون على ضرورة مقاومة تأثيرها على أسلوب حياتهم[126] .

ولنلاحظ هنا إشارة برنارد لويس وتأكيد صمويل هنتنجتون على رفض المسلمين للحضارة الغربية، اعتقاداً من المسلمين بفساد الحضارة الغربية والتي وجب المحافظة على

---

[123] Lewis, B. (1994). *Islam and the West*, Op. Cit., p. 31.

[124] Lewis, B. (1990), Op. Cit.

[125] لويس، ب. (2003)، مرجع سبق ذكره، ص. 161.

[126] هنتنجتون، ص. (2006). صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولى، ترجمة عباس هلال كاظم، دار الامل :الأردن، ص ص. 301-302.

مجتمعاتهم منها. ومن ثم فهو يعد سببا قويا لرفض المسلمين الحضارة الغربية، إلا أن برنارد لويس يلقى الضوء على السبب الحقيقي لرفض المسلمين معطيات الحضارة الغربية، فيقول "إن مقاومة بلدان الشرق الأوسط، قلب العالم الإسلامي، للحضارة الغربية تتوجه إلى الحضارة الغربية ذاتها وليس لما تتبعه من ممارسات وما تتبناه من مبادئ، إنها مقاومة وجود الحضارة الغربية في حد ذاتها ليصبح كل ما تقوم به الحضارة الغربية شيطانياً، ويصبح كل من يقبل مبادئ هذه الحضارة عدواً"[127] .كما يؤكد صمويل هنتنجتون على الفكرة ذاتها ويقول "إنه عبر العالم الإسلامي، خاصة فيما بين العرب، يوجد إحساس قوى من الحزن والاستياء والحقد والعدوانية تجاه الغرب وثروته وقوته وثقافته"[128].

ويبين برنارد لويس كيف أن رفض المسلمين يتوجه إلى الحضارة الغربية ذاتها وليس لما تتبناه من ممارسات ومبادئ، والسبب في ذلك كما يرى لويس هو انقلاب موازين القوى لصالح الحضارة الغربية بعد أن كانت في صالحهم، فيقول "لقد كان من الصعب على العالم الإسلامي أن يكيف أموره على عالم انقلبت فيه موازين الأمور لصالح العالم الغربي ، حيث تبدلت العلاقة بين العالم الإسلامي ودول أوروبا، فالذين كانوا تلاميذ أصبحوا معلمين، والذين كانوا معلمين أصبحوا تلاميذ[129] ، إنها التغيرات الهائلة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية التي غيرت من أوضاع العالم الإسلامي، حيث فقد العالم الإسلامي هيمنته على العالم ، كما تقلصت سلطاته داخل حدود بلاده ذاتها من خلال الأفكار الأجنبية والقوانين وطرق الحياة الأجنبية، والأكثر من ذلك أنه قد فقد سيادته في عقر داره من خلال الدعاوى الأجنبية لتحرير النساء، وكذلك تمرد الشباب على نظم معيشتهم التقليدية[130].

---

[127] Lewis, B. (1990), Op. Cit.

[128] غانم، أ. م. (2007). البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ص. 192.

[129] لويس، ب (2003)، مرجع سبق ذكره، ص. 19.

[130] Lewis, B. (1990). Op. Cit.

ونتيجة لرفض المسلمين للحضارة الغربية، فيوضح لويس كيف أن الكثير من الاتهامات قد تم توجيهها للحضارة الغربية والتي يراها لويس ناتجاً عن شعور بخيبة الأمل والحقد الموجه إلى الحضارة الغربية، فيقول "إن الانتقادات والاتهامات هذه لم تبدأ في دول العالم الثالث، بل إنها بدأت من بعض الجامعات داخل الغرب ذاته بدعوى التحدث باسم مشاكل العالم الثالث وبالطبع فقد وجدت هذه الدعوات مناصرين لها في العالم الثالث، كما ظهرت حركات مماثلة لها في هذه البلدان"[131]. ويقول لويس" إن الغرب متهم بالعنصرية والإمبريالية والشهوانية، ثم يقول إنه لا ينكر الاتهامات الموجهة إليه، إلا أنه يرى أنها صفات لصيقة بالبشرية كلها، وقد مارستها كل الحضارات السابقة على الحضارة الغربية، بل إن الحضارة الغربية هي الحضارة الوحيدة التي قامت بتجريمها وهو ما لم تقم به أي حضارة أخرى"[132].

2-2-2 الدور الذي يلعبه الدين والتاريخ في حياة المسلمين

يبين برنارد لويس الدور الذي يلعبه الدين في حياة المسلمين، ويقارن بين الدين لدى المسلمين والدين بالنسبة للغرب، فيقول "يمثل الإسلام بالنسبة للمسلمين أكثر من مجرد عبادة فهو نظام كامل للهوية والولاء والسلطة"[133]. هنا يكمن الاختلاف الحقيقي بين الحضارة الغربية والعالم الإسلامي، فإن الإسلام لدى المسلمين يمثل الدين والحضارة، فإذا تحدثنا عن الفن الإسلامي فإننا نشير بذلك إلى الفن الذى أنتجته الدول الإسلامية، وليس بالضرورة أن يكون لهذا الفن بعد ديني، وإذا تحدثنا عن العلوم الإسلامية فإننا أيضاً نشير إلى مختلف العلوم من الفيزياء والكيمياء والرياضيات والبيولوجيا، وغيرها من العلوم والتي ليس لها أبعاد دينية، أما إذا تحدثنا عن الحضارة الغربية والتي تعد المسيحية مكوناً لها وليست المكون الوحيد، فإن

[131] لويس، ب، وسعيد إ. (1994). *الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية*، دار الجيل: بيروت، ص. 21.

[132] Lewis, B. (1990). Op. Cit.

[133] Lewis, B. (2010). Faith and Power: Religion and Politics in the Middle East, Oxford University Press: New York (NY), p. 29.

الفن المسيحي يقصد به الفن الديني والمتعلق مثلا ببناء الكنائس والرموز البيئية الأخرى، وكذلك فالعلم المسيحي يقصد به بمنظور الحضارة الغربية العلم الديني وما له علاقة بالإنجيل وغيره من الدراسات الدينية[134].

ويوضح برنارد لويس أن هذا الاختلاف بين المجتمع الإسلامي والغربي والخاص بوضع الدين نابعًا عن الاختلاف التاريخي بين كل منهما، حيث اعتاد الغرب أن يفصلوا بين الدين والأمور الحياتية، فالتعاليم المسيحية تقول "دع ما للرب للرب وما لقيصر لقيصر"، أما في المجتمع الإسلامي فقد ظل الإسلام لمدة تزيد عن ألف عام المصدر الوحيد للقواعد والمبادئ المقبولة لتنظيم الحياة العامة والحياة الاجتماعية، بل وقد استمر تأثيرها حتى في الفترة التي وصل فيها النفوذ الأوروبي إلى ذروته[135].

ويوضح برنارد لويس مدى أثر الدين في حياه المسلمين فيقول، إن الدين في التاريخ الإسلامي هو المحور الأساسي في تحديد الهوية، كما يعتبر المصدر الأساسي في تنظيم المجتمع، وهو المصدر الوحيد للتشريع، ويشير إلى أنه لا تزال معظم بلدان الشرق الأوسط تلتزم في دساتيرها بالدين الإسلامي باعتباره الدين الرئيسي للتشريع. ويؤكد لويس على دور الدين في تحديد الأنا والآخر لدى المسلمين، والآخر هو العالم غير المؤمن، وبالتالي فإن النظرة الدينية هي المحرك لسلوك المسلمين كما يؤكد لويس، ويتحدث عن أثر النظرة الدينية هذه على موقف المسلمين من الحضارة الغربية، ويقول "إن تاريخ العالم الإسلامي الذي يضع الدين محورًا لكل الأمور والجوانب الخاصة بالمجتمع الإسلامي، قد شكل موقفه من الحضارة الغربية، حيث كان وما زال ينظر إلى الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية، وهو ما يعتبر أحد أسباب مقاومة معطيات الحضارة الغربية[136].

---

[134] Lewis, B. (2003). I am right you are wrong, go to hell, *the Atlantic Monthly*, May, available at: https://shorturl.at/pszl5

[135] لويس، ب (2003)، مرجع سبق ذكره، ص. 166.

[136] Lewis, B. (2010), Op. Cit., p. 14.

وينتقل لويس إلى أمر آخر ذو علاقة بأهمية الدين في الشرق الأوسط، وهو أن الإجابة بالدين على كل المشكلات التي تتعرض لها البلدان الإسلامية، تلقى قبولاً واسع النطاق بين صفوف المسلمين، ويشير لويس إلى "الحركات الأصولية"، ويوضح أنها "حركات تهدف إلى مواجهة الإصلاحات العلمانية وإبطال القوانين والعادات الاجتماعية الناتجة عنها والعودة إلى قوانين ومبادئ التشريع الإسلامية"[137]، فهذه الحركات الإسلامية كما يوضح لويس تدعو إلى العودة إلى تعاليم الدين الصحيحة وترك الأساليب والطرق الغربية التي تفسد المجتمع الإسلامي، فهي ترى أن عمليات التحديث الغربية هي السبب وراء التدهور التي تعيشه البلدان الإسلامية الآن.

وفى هذا السياق يقول لويس "لقد لفتت أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنظارنا إلى أمر مهم، وهو أن الدين أصبح المحرك الرئيسي في العصر الحديث، الأمر الذى يتطلب أن يفكر الغرب في ذاته وفى الآخر وأن يأخذ حذره، حيث أصبح هناك قوة أخرى تسمى "الإسلام" لا بد وأن نأخذ حذرنا منها، ويضيف قائلا" ولأن الولايات المتحدة هي الوريث الشرعي الآن للحضارة الغربية وأصبحت القائد غير القابل للمناقشة في الغرب، فقد ورثت الكراهية والحقد وأصبح التركيز عليها من حيث الغضب والكراهية، ومن هنا فإننا أقل ما يمكن وصفه هو "صدام الحضارات"[138].

ويؤكد برنارد لويس بذلك على الفرضية التي تبناها صمويل هنتنجتون حول صدام الحضارات والمتمثلة في أن العالم في النظام العالمي الجديد أي بعد الحرب الباردة سيشهد صراعًا بين الحضارات وأن الغرب لا بد وأن يأخذ حذره فيقول هنتنجتون" لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمى إلى حضارات مختلفة حميمية بل غالباً ما ستكون عدوانية، وسيكون الانقسام الأكبر على مستوى العالم بين الغرب والبقية، وبالأخص بين المجتمعات

[137] لويس، ب (2003)، مرجع سبق ذكره، ص. 161.

[138] Lewis, B. (1990), Op. Cit.

الإسلامية والآسيوية من جانب، والغرب من جانب آخر، ويرجح أن تقع الاصطدامات الخطيرة في المستقبل نتيجة لتفاعل الغطرسة الغربية، والتعصب الإسلامي[139] .

وبالتالي فقد أوضح لنا برنارد لويس، كيف أن الدين يلعب دورًا محورياً لدى المسلمين ويعد المحرك الرئيسي لسلوكهم ومواقفهم، ومن ثم فهو دافع رئيسي وراء رفض المسلمين للحضارة الغربية.

وينتقل لويس إلى دور التاريخ في حياة المسلمين كذلك، ويتعجب من الأهمية التي يحظى بها في دول الشرق الأوسط، فيقول إن التاريخ بالنسبة للعالم الإسلامي يختلف عن غيره من البلدان؛ فدائمًا ما يتم استرجاع الأحداث والمواقف التاريخية منذ نزول الإسلام في القرن السابع الميلادي، وتتم مخاطبة الناس به وهو يعد مادة مفهومة ومقبولة لدى الجميع حتى لغير المتعلمين، ويتم سرد الأحداث التاريخية بشكل مفصل، وإن لم تكن دقيقة، ويرى المسلمون تاريخهم بأنه الأعرق، بالإضافة إلى ذلك فإن لويس يرى بأن المسلمين يقومون بتوظيف تاريخهم في الدعاية السياسية، وغالباً ما يتم استدعاء المقولات والأحداث التاريخية في المواقف الصعبة والحرجة التي تتعرض لها بلدانهم، كما أنه يتم تضمينه في الخطابات العامة للقادة المسلمين سواء من داخل أوطانهم أو خارجها، في الحكومة أو في المعارضة، ويقول لويس في هذا الصدد، إن استدعاء التاريخ وتوظيفه من قبل البلدان الإسلامية يختلف عما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية، أو حتى دول أوروبا، فهم لا يوظفون التاريخ مثلما يفعل المسلمون. [140]

وأخيرًا فإن برنارد لويس يلقى الضوء على اعتزاز المسلمين بتاريخهم ودينهم فيقول "إن هناك شيئا ما في الثقافة الدينية الإسلامية ألهم حتى أولئك الناس الأكثر تواضعاً وسذاجة

---

[139] هنتنجتون، ص. (2006). صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولى، ترجمة عباس هلال كاظم، دار الامل :الأردن، ص. 439.

[140] Lewis, B. (2007). Europe and Islam, The AEI Press, Washington, D.C.

شعورًا بالكرامة والاحترام والتعالي تجاه الآخرين بشكل نادر جداً، قل إن نجحت الحضارات الأخرى في تحقيقه"[141].

نستطيع أن نقرأ هنا موقف برنارد لويس من الدين، فبرنارد لويس يرى أن الدين لا يقدم حلولاً للمشاكل المختلفة التي تواجهها الدول الإسلامية، بل على عكس ذلك، فقد يصبح عائقاً أمام اللحاق بالركب الحضاري، حيث يعد الدافع الرئيس لرفض المسلمين قبول معطيات الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية، كما أن الدين وفاعليته في الشرق الأوسط قد نتجت عنه ظهور الحركات الأصولية، والتي لا يقتصر خطورتها على مجتمعاتها فقط، وإنما تشكل خطرًا على الحضارة الغربية كذلك.

مما سبق، فقد أوضح برنارد لويس الأسباب الرئيسية التي يراها دافعاً لرفض الشرق الأوسط للحضارة الغربية، والتي أدى وجودها إلى عدم قدرة الشرق الأوسط على اللحاق بالركب الحضاري في الوقت التي نجحت فيه دول أخرى غير غربية في قبول الحضارة الغربية واتباع شروطها كما يرى لويس. وقد تمثلت أسباب رفض الشرق الأوسط للحضارة الغربية كما قدمها لويس، في اعتبار الشرق أوسطيين القيم الغربية قيما فاسدة تهدد قيم ومبادئ العالم الإسلامي مما يلزم مواجهتها، كذلك فقد أوضح أن السبب الحقيقي في رفض الشرق الأوسط للحضارة الغربية هو رفض وجود الحضارة الغربية ذاته والذى يتعدى المصالح والسياسات الغربية، حيث أشار لويس أن سبب رفض الشرق الأوسط للحضارة الغربية هو انقلاب موازين الأمور لصالح الحضارة الغربية بعد أن كان العالم الإسلامي هو القوة الأكبر والأعظم، بالإضافة إلى ذلك فقد أشار لويس إلى الدور الذى يلعبه الدين في المجتمع الإسلامي، حيث يعتبر المصدر الرئيسي لتحديد الهوية لدى المسلمين، وهو ما ساهم في تشكيل رؤية المسلمين للحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية لا ينبغي اتباعها. كذلك فقد تحدث لويس عن الدور الذي يلعبه التاريخ في الشرق الأوسط، حيث يعتبره المسلمون التاريخ الأعرق، فيقول إن التاريخ الإسلامي ما زال يشكل مادة ثرية في خطابات القادة السياسيين في الشرق الأوسط،

[141] لويس وسعيد، 1994، مرجع سبق ذكره، ص. 52.

بحيث تحظى الدعوة إلى ضرورة العودة إلى الماضي واتباع التعاليم السليمة للدين الإسلامي لاستعادة المجد الإسلامي قبولا واسعًا بين شعوب الشرق الأوسط. وأخيرًا، فقد أوضح برنارد لويس بأن هناك شيئا ما في الحضارة الإسلامية، قد خلف نوعًا من الكبرياء والشعور بالعزة لدى جموع المسلمين قلما نجحت أي حضارة أخرى في تحقيقه، مما خلف نوعاً من الرفض والمواجهة للحضارة الغربية.

ومن خلال تقديم برنارد لويس لأسباب رفض المسلمين لمعطيات الحضارة الغربية، فإننا نجد إشارة إلى الطبيعة الخاصة للثقافة الإسلامية والتي يراها برنارد لويس عائقاً أمام لحاق المسلمين بركب الحضارة الغربية، فالثقافة الإسلامية كما اتضح لنا من خلال فكر برنارد لويس تخلف شعورًا بالكبرياء والعزة لدى المسلمين تعزز من رفضهم للآخر، كما أنها تخلق نوعًا من العداء للآخر لكون الدين المكون الرئيسي لثقافة المسلمين، وهو المحرك الرئيسي لسلوكهم، مما يعمق الفجوة بين الأنا والآخر ، ومن ثم فإننا نستطيع أن نقرأ من خلال تقديم لويس لأسباب رفض الحضارة الغربية موقفه من الخصوصية الثقافية، فلويس لا يهتم بالخصوصية الثقافية للمسلمين أو غيرهم بل إنه يراها في بعض الأحوال تقف عائقاً أمام اللحاق بالركب الحضاري كما هو حال الثقافة الإسلامية.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا نستطيع أن نقرأ مفهوم الحضارة في فكره، إن الحضارة في فكر برنارد لويس تعبر عن الحضارة الغربية، فالغرب هو الحضارة وهو الذى يحدد معايير التقدم والتخلف، فلم ينكر لويس وجود حضارات سابقة عن الحضارة الغربية رغم تأكيده الدائم على تفرد الحضارة الغربية، إلا أن برنارد لويس يرى بأن لكل عصر حضارة واحدة، هي التي تضع معايير التقدم، ولأن الحضارة الغربية هي حضارة العصر فينبغي على العالم غير الغربي السير على نهجها وقبول شروطها، وبالتالي فإن فكر لويس لا يؤمن بتعدد التشكيلات الحضارية، بل إن لويس يتحدث عن وجود تشكيل حضاري واحد هو الحضارة الغربية . وإن حدثت محاولات للخروج عن هذا التنميط، فإن لويس ينتقل إلى فكرة صراع الحضارات (أطروحة صمويل هنتجتون)، والتي أكد عليها برنارد لويس في العديد من كتاباته.

ومن جانب آخر فقد أوضح فكر برنارد لويس موقفه من التاريخ، فالتاريخ في فكر لويس هو تاريخ الحضارة الغربية فقط، أما عن تاريخ الإنسانية بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص، فلم يحتل أية أهمية لديه، وقد أبدى لويس تعجبه من اهتمام المسلمين بالتاريخ واستدعائهم له في الأزمات والمواقف السياسية الحاسمة، وقد اعتبر اهتمام المسلمين بالتاريخ عوده للوراء، والتقدم يتطلب النظر إلى الأمام والاستغناء عن القيم والموروثات القديمة، فلويس يرى التاريخ ضرباً من ضروب الماضي الذي يجب تجاوزه للتمكن من اللحاق بالركب الحضاري.

2-2-3 القبول التدريجي للحضارة الغربية

يعرض برنارد لويس موقف البلدان العربية الإسلامية من التحديث الغربي وانتقالها من التجاهل والرفض التام لكل معطيات الحضارة الغربية، مرورًا بالقبول ببعض المعطيات الحضارية اللازمة لها، ووصولاً إلى القبول التام لمعطيات الحضارة الغربية سواء كان ذلك بشكل واعٍ أو غير واعٍ.

ويعبر لويس عن موقف العالم الإسلامي من الحضارة الغربية منذ البداية ويقول إنه قد أبدى تجاهلاً تاماً للحضارة الغربية، ولم يلق بالاً لها إلا بعد أن أصبحت الحقيقة واضحة أمامه، وذلك مع الهزائم المتكررة للجيوش الإسلامية في فيينا على أيادي الجيوش الأوروبية، فلأول مرة تهزم الجيوش الإسلامية، والهزيمة هنا كانت أكبر من مجرد هزيمة عسكرية، فهي هزيمة لها تاريخ من الصراع الذي امتد ١٤ قرناً من الزمان بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي. ويوضح أن الدول الإسلامية لم تلق بالا للثورات الصناعية والعلمية التي احدثتها أوروبا، فحتى الحروب الدينية التي كانت تعاني منها أوروبا لفترات طويلة، لم تأخذ من اهتمام العالم الإسلامي آنذاك، ولم يهتم المسلمون يوماً بالتعلم من دول أوروبا، حيث أمضى المسلمون في أسبانيا مدة تقترب من ال ٨٠٠ عام، ولم يهتموا يوماً بتعلم اللغة الأسبانية أو اللغة

اللاتينية. ويقول لويس "فعندما شعر المسلمون بضرورة محاكاة التفوق الغربي، كان الوضع قد انتقل من مجرد تحديث إلى كونه اللحاق بالركب الحضاري"[142].

وبعد أن أوضح لويس رفض المسلمين للحضارة الغربية وتجاهلهم لها، فإن لويس ينتقل إلى الفكرة التي أراد أن يطرحها وهي المتمثلة في أن رفض المسلمين للحضارة الغربية ومقاومتهم لها لم تنجح في دفع عناصر الحضارة الغربية عن المجتمع الإسلامي، حيث اضطر المسلمون لقبول معطيات الحضارة الغربية سواء كان ذلك بوعي منهم أم بغير وعي.

فيقول لويس "فقد أدرك المسلمون في القرن الثامن عشر أهمية إجراء إصلاحات عسكرية برية وبحرية ، وأهمية اكتساب الفنون العسكرية الأوروبية حتى تستعيد الجيوش الإسلامية قوتها مرة أخرى لمواجهة عدوها المنتصر، إلا أن الإصلاحات العسكرية ،التي رغب في تحقيقها المحدثون المسلمون آنذاك، قد أدت إلى سلسلة أخرى من التطورات في العالم الإسلامي، حيث أن الإصلاحات العسكرية قد تطلبت تزويد الجيوش الإسلامية بإمدادات عسكرية مما تطلب إجراء بعض الإصلاحات في قطاعي الصناعة والتجارة، أيضاً فقد تطلب الأمر تحديث الطرق ووسائل الاتصالات. وعلى جانب آخر، فقد تطلبت عملية التحديث العسكرية إجراء بعض التدريبات داخل الجيوش الإسلامية، وكذلك اكتساب الخبرات عن العدو وتعلم المهارات الدبلوماسية والسياسية كحلول بديلة للحروب في حال ضعف الجيش، وقد تطلب كل ذلك تعيين موظفين جدد، أي مزيد من المعرفة والتعليم"[143].

ويوضح برنارد لويس هنا التأثر التدريجي بالأفكار الغربية على المجتمع الإسلامي فقد كانت رغبة المسلمين آنذاك إجراء إصلاحات عسكرية فقط، إلا أن عملية التحديث تطلبت إجراء إصلاحات في مجالات أخرى غير المجال العسكري. ومن الملاحظ هنا أن برنارد لويس يؤكد على فرضية توينبي حول العناصر الحضارية، فيقول توينبي" إذا قام عنصر حضاري ما بتثبيت جذوره في مجتمع جديد، فهو يحاول جذب غيره من الأفكار الحضارية

142 Lewis, 2003, Op. Cit.
143 Lewis, 2010, p. 20.

ليشكل كلاً عضوياً حضارياً، ففي التلاقي بين الحضارات لا بد أن يؤدى تطور ما إلى تطور آخر بمجرد حدوث فجوة مهما كانت صغيرة في دفاع الحضارة التي هي موضع الهجوم" [144].

ينتقل برنارد لويس إلى أمر آخر، وهو رفض المجتمع الإسلامي الشديد لكل الحملات الأوروبية الموجهة له والتي قد اصطبغت بالطابع المسيحي، فيقول إنه قد تم توجيه الكثير من الحملات التي تحمل أفكاراً أوروبية تحديثية للشرق الأوسط، إلا أنها قد لاقت جميعها الرفض من قبل العالم الإسلامي، حيث تعتبر الحملة الفرنسية على مصر كما يقول لويس، البداية الحقيقية لقبول الأفكار الأوروبية وذلك لأنها قدمت نفسها بوصفها غير مسيحية بل إنها قدمت نفسها باعتبارها مضادة للمسيحية .ولذلك كانت الثورة الفرنسية بمثابة الفرصة الحقيقية للمتعطشين من العالم الإسلامي للتعرف على أفكار وسبل التفوق الأوروبي، وذلك دون المساس بالقيم والمبادئ الإسلامية والتي كان الشعور بتهديدها يؤدى إلى مقاومة عنيفة من قبل المسلمين[145].

ونستطيع أن نقرأ هنا تأكيد لويس المتكرر على فاعلية الدين في الشرق الأوسط، وهو ما يعتبره لويس حاجزًا رئيسياً فيما بين الحضارة الغربية والعالم الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك فإن تصوير لويس لرفض المسلمين للعناصر الحضارية الغربية التي تخاطب دينهم بشكل أو بآخر يؤكد على فرضية توينبي حول اختلاف قدرة العناصر الحضارية على اختراق أي مجتمع غريب. في رأى توينبي أنه عندما تحاول حضارة ما فرض إشعاعها الفكري على مجتمع غريب، فإن العناصر الحضارية الأقل أهمية هي التي لديها القدرة على الاختراق أكثر من العناصر الحضارية الهامة، ولذلك فيكون قبول العناصر ذات الأبعاد العسكرية، الاقتصادية، أسهل ويكون اختراقها للمجتمعات أسرع من العنصر الحضاري الديني على سبيل المثال[146].

---

[144] Lewis, 1997.

[145] لويس، ب. (1996). اكتشاف المسلمين أوروبا، ترجمة أحمد عبد القادر، المكتبة الأكاديمية: القاهرة، ص. 60.

[146] Lewis, 1997, Op. Cit.

ويصور برنارد لويس الاختراق التدريجي لعناصر الحضارة الغربية للمجتمع الإسلامي، ويوضح كيف حدث هذا القبول التدريجي لمعطيات الحضارة الغربية، فيقول"قمع منتصف القرن الثامن عشر كان هناك معلمون أوروبيون بالجيوش التركية وكذلك في المدارس العسكرية والبحرية الجديدة، ومع بداية القرن التاسع عشر بدأ الطلاب المسلمون بالسفر إلى أوروبا لتعلم الفنون العسكرية هناك، وقد تطلب منهم الأمر تعلم اللغات الأجنبية التي تساعدهم على التعليم والتعرف على العلوم الغربية. وقد كان هذا الوقت هو التغيير الحقيقي الذي طرأ على العالم الإسلامي، فبعد أن تعلم الطلاب المسلمون اللغات الأجنبية، وجدوا ما هو أمتع لهم من العلوم العسكرية للتعرف عليه من العلم الأوروبي، حيث بدأوا بالتعرف على الأدب والفكر والعلم الأوروبي. وقد أدى تعمقهم في القراءة إلى معرفتهم حجم قوة وثراء أوروبا وكذلك ما وصل إليه بلادهم من ضعف وفقر، وأصبحت الدعوة إلى التحديث أقوى وأكثر تأثيرًا[147].

ويضيف لويس قائلاً " وفى القرن التاسع عشر ظهرت الصحف والمجلات في العالم الإسلامي باللغات العربية والتركية والفارسية، فلأول مرة يتم تداول الأخبار خارج وداخل العالم الإسلامي، وأصبحت مهنة الصحفي من المهن الأكثر قبولاً آنذاك، كما ظهرت شخصية أخرى لم تكن معروفة في العالم الإسلامي من ذي قبل، وهى مهنة المحامي والذى كان يقوم بتطبيق القوانين والتشريعات الأجنبية، وذلك للنظر في التعاملات والتبادلات التجارية بين العالم الإسلامي ودول أوروبا، وهو ما يعتبر تحولاً حقيقياً في المجتمع الإسلامي الذي كان المصدر الوحيد لديه في التشريع هو الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى ذلك فقد حدث تغير آخر في مجال التعليم بالبلدان الإسلامية، فبعد أن كانت مهام التعليم حكرًا على رجال الدين، ظهر المُعلم الذى أصبح مسئولا على نقل المهارات والمعارف الحديثة في المدارس وكذلك الجامعات فيما بعد"[148].

[147] Lewis, 2010, Op. Cit, pp. 21-23).

[148] لويس، ب.، 2003، مرجع سبق ذكره، ص ص. 81-82.

ويوضح لويس مما سبق، كيف حدث تحول في المجتمع الإسلامي من خلال ظهور رموز جديدة لم تكن موجودة من قبل، وكذلك استبدال شخصيات مكان أخرى في أحد المجالات الجوهرية في أي مجتمع وهو التعليم، كما أدى ظهور الصحف والمجلات في العالم الإسلامي إلى التعرف على النهضة الأوروبية والثورة العلمية بشكل أعمق.

ويلخص لويس حديثه ويقول: "ومع نهاية القرن التاسع عشر وحلول القرن العشرين كانت الدول الإسلامية قد قامت بإعادة تشكيل نظام الدولة والقوات العسكرية والمدارس والجامعات ليأخذوا الطابع الأوروبي بل النموذج الأوروبي"[149].

وبعد أن أوضح برنارد لويس كيف تقبل المجتمع الإسلامي المعطيات الحضارية الغربية بشكل تدريجي بعد أن أبدى رفضاً شديداً لها في البداية، نظرًا لاضطرار المسلمين إدخال بعض التغييرات العسكرية والاقتصادية والعلمية، فإن برنارد لويس يلقى الضوء على مكون آخر من مكونات الحضارة الغربية، وهو الأكثر أهمية، وهو الذي يثبت نجاح الحضارة الغربية في فرض سيطرتها الكاملة على المجتمع الإسلامي، وكذلك فهو كما يعبر يعكس اهتزاز الثقة بالنفس داخل المجتمع الإسلامي، هذا المكون هو المكون الثقافي.

ويعبر برنارد لويس عن مدى الاختراق الثقافي الأوروبي للمجتمع الإسلامي فيقول: "إن الملابس التي يرتديها الإنسان لها غرضان معاً، فهي تقيه من البرد والرطوبة، كما أنها تعبر عن هوية الإنسان، ولذلك فعندما يقوم الإنسان بتغيير ملابسه ليرتدي ملابس مجتمع آخر، فهذا يعتبر اختيارًا ثقافياً، فإن قبول أو مقاومة تغيير الملبس يستندان إلى هذه الدلالة (الاختيار الثقافي). وإذا كانت الأسلحة ضرورة حربية، فإن تغيير الزي التقليدي يمثل اختيارًا ثقافيًا، بل فإننا من الممكن أن نقول استسلاماً ثقافياً"[150].

ويتحدث لويس عن التأثير الأوروبي في زخرفة المساجد ومؤسسات الدولة، حيث يتضح المعمار الأوروبي في الزخرفة الداخلية للمباني والمؤسسات الإسلامية، بعد أن بدأت

[149] Lewis, 1994, Op. Cit, p.38.
[150] Lewis, 1994, Ibid, p. 214.

تختفي الطرق التقليدية المعمارية والفنية ليحل محلها الفن الجديد القادم من أوروبا، وقد تم تأسيس القصور وحدائقها على الطراز الأوروبي وأصبح هناك استحسان للأثاث الغربي ومختلف المنتجات الغربية[151]. ويعلق لويس قائلا" عندما يظهر تأثير أجنبي في شيء ذي أهمية جوهرية لثقافة ما، مثل المؤسسات الإمبراطورية والمساجد الجامعة، فالواضح أن الثقة بالنفس قد اهتزت بعض الشيء، لقد حدث شيء ما، شيء مهم". ولتوضيح نفس الفكرة فإن لويس يقول إنه قد دخل على المعجم العربي كلمات جديدة مثل "كهرباء" والمشتقة من كلمة "الكترون" وكذلك فقد تغيرت دلالات بعض الكلمات مثل "الثورة" والتي كانت تعبر قديماً عن الفتنة والقلقلة والاضطراب، أصبحت الآن أكثر الكلمات تمتماً بالقبول كمخول للشرعية"[152].

ويقول كذلك" لقد بدأت عملية التأثير الكاملة للحضارة الغربية على المجتمع الإسلامي (الشرق الأوسط حالياً) ، وذلك بدءاً من تبني الدساتير إلى الكوكاكولا، من الدبابات والتليفزيونات إلى اللباس والرموز والمنتجات الصناعية[153].

وأخيرًا، وبعد أن صور برنارد لويس القبول التدريجي للحضارة الغربية من قبل المسلمين بعد اضطرارهم لذلك، فإن برنارد لويس يتحدث عن انقلاب الموازين بين العالم الإسلامي الحضارة الغربية، وهو بذلك ينبه العالم الإسلامي إلى ضرورة التعامل مع الواقع المعاصر، لأن الماضي الذى كان فيه العالم الإسلامي صاحب الريادة قد انتهى، ويقدم لويس مثالاً بسيطاً، ولكنه يعبر بوضوح عن الفكرة التي أراد أن يرسلها إلى العالم الإسلامي، فيقول لويس: "فلنضرب مثلا بسيط اً للتدليل على تغير العلاقة بين الجانبين من خلال إحدى المتع التقليدية للشرق الأوسط، وهى قدح القهوة. كانت إثيوبيا هي المصدر الأساسي للبن وقد أتى به التجار على امتداد جانبي سواحل البحر الأحمر عن طريق بلاد العرب ومصر إلى سوريا وتركيا، ثم بدأ تصديره إلى أوروبا . وكان السكر يأتي من بلاد الفرس والهند، وظل البن والسكر ردحًا

[151] لويس، ب.، 1996، مرجع سبق ذكره، ص.281.
[152] لويس، 2003، مرجع سبق ذكره، ص. 211.
[153] لويس وسعيد، 1994، مرجع سبق ذكره، ص. 31.

طويلا من الزمن يصدران إلى أوروبا، إما من الشرق الأوسط أو من خلاله . ثم اكتشفت الدول الاستعمارية أنها تستطيع أن تزرع البن وتنتج السكر في مستعمراتها الجديدة بوفرة أكبر وبتكاليف أقل، وبحلول القرن الثامن عشر كان التركي أو العربي إذا مارس هذه المتعة التقليدية وجد أن البن مستورد من هولندا أو أسبانيا وأن السكر مستورد من جزر الهند التابعة لبريطانيا أو لفرنسا، وأن العنصر المحلى الوحيد هو الماء الساخن". ويواصل لويس حديثه: "ولم يعد ذلك هو الحال في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إذ بدأت الشركات الأوروبية تحصل على امتيازات جعلتها تتحكم في إمدادات المياه والغاز في مدن الشرق الأوسط"[154].

مما سبق فإننا نخلص إلى أن المقاومة التي أبداها العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية من وجهة نظر لويس ورفضهم الشديد لها لم تنجح في الاستمرار طويلا، حيث إن الحضارة الغربية والتي تمثل الحضارة العالمية قد اخترقت المجتمع الإسلامي في مختلف نواحي الحياة، وقد بدأ الأمر بالنواحي العسكرية وامتدت إلى الجوانب السياسية والاقتصادية، وحتى إلى الأمور الثقافية، مما يعكس التأثير القوى للحضارة الغربية على المجتمع الإسلامي ويعكس اهتزاز الثقة بالذات لدى المجتمع الإسلامي. وبذلك فإن برنارد لويس يؤكد من خلاله عرضه للقبول التدريجي للحضارة الغربية على فرضيته التي أوضحتها في بداية البحث المتمثلة في اعتبار الحضارة الغربية الحضارة الوحيدة الباقية الآن، والتي تضع معايير التقدم الحالية والتي يجب على باقي الدول غير الغربية اتباعها والسير على نهجها وذلك لأنه حتى وإن رفضت هذه الدول قبول معطيات الحضارة الغربية، فإنها حتماً ستضطر إلى قبولها، إذا رغبت في تحقيق أي من الإصلاحات في أي من المجالات.

وأخيرًا فيقول فرنسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ" يفسر الصفة العالمية للحضارة الغربية بقوله، "لم يشهد التاريخ حضارة وصلت إلى هذا التقدم من العلوم الطبيعية، أساسها النمو الاقتصادي القائم على التكنولوجيا وما يتبعه من علاقات اجتماعية رأسمالية مثلما فعلت

[154] لويس، 2003، مرجع سبق ذكره،76 -77.

الحضارة الغربية، ويقول إن بعض المجتمعات قد حاولت مواجهة هذه الصبغة العالمية، إلا أن هذه المواجهة لم تستمر، فمن لم تهزمه منهم التكنولوجيا الغربية المتفوقة، أغراه بريق الثروة والعلوم الطبيعية التي خلقت هذه الثروة، فمع أنه ليس بمقدور كل المجتمعات أن تصبح مجتمعات استهلاكية في الوقت القريب، إلا أننا لا نكاد نجد مجتمعاً واحداً في عالمنا المعاصر لا يتطلع إلى هذه الغاية"[155].

وبناءً عليه، أوضح برنارد لويس في هذا القسم مقاومة الشرق الأوسط للحضارة الغربية ورفضهم لها، وقد أرجع السبب في ذلك إلى اعتبار القيم والأفكار الغربية فاسدة تهدر قيم ومبادئ المجتمع الإسلامي، وكذلك أرجع رفض المسلمين للحضارة الغربية إلى وجود الحضارة الغربية ذاتها وانقلاب موازين الأمور لصالحها بعد أن كانت تسير لصالح العالم الإسلامي، كما أوضح أن السبب في رفض المسلمين للحضارة الغربية يرجع إلى الدور الذى يلعبه الدين الإسلامي في المجتمعات الإسلامية، ومن ثم رفض الحضارة الغربية باعتبارها حضارة مسيحية، كما كان اعتزاز المسلمين بتاريخهم وثقافتهم دافعاً في رفض المسلمين للحضارة الغربية ومقاومتها.

وقد أكد برنارد لويس على أنه بالرغم من رفض المجتمع الإسلامي للحضارة الغربية ومقاومتهم الشديدة لها، إلا أنهم اضطروا في النهاية إلى قبول بعض معطيات الحضارة الغربية خاصة المتعلقة بالأمور العسكرية، إلا أن التأثير الغربي على المجتمع الإسلامي قد شمل نواحي الحياة الأخرى الاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية، مما يعكس أهمية قبول الحضارة الغربية، وذلك لكونها الحضارة العالمية الآن التي تضع معايير التقدم وشروطه.

وقد قدم برنارد لويس الحضارة الغربية باعتبارها واقعاً معاصرًا، فالحضارة الغربية وفقاً لبرنارد لويس هي المخولة لتقديم معايير وعناصر التقدم، وعلى جميع المجتمعات بمختلف الخصوصيات قبول هذا النموذج، فهي حضارة العصر التي تضع معايير وشروط التقدم وفقاً

[155] فوكوياما، ف. (1992). نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد حسين، مركز الأهرام: القاهرة ، ص.122.

لرؤيتها الحضارية الخاصة. وقد أكد لويس كذلك أن الحضارة الغربية تختلف عن سابقيها (بأنها تتسم بالعالمية)، حيث نجحت في اختراق كل المجتمعات بما في ذلك أكثر المجتمعات تحفظاً ورفضاً لها وهو المجتمع الإسلامي، ونستطيع أن نقرأ من خلال فكر برنارد لويس بأنه لا مفر من الفكاك من الحضارة الغربية، فإن لم تختر المجتمعات طواعية قبول معطياتها فستضطر إلى قبولها إن آجلاً أم عاجلاً .

المحور الثالث: رؤية عبد الوهاب المسيري للحضارة الغربية

تناول عبد الوهاب المسيري المركزية الغربية في فكره من خلال قيامه بنقد كلى للحضارة الغربية، حيث قام بفك شفرة الحضارة الغربية ومركزيتها بتوضيحه للنموذج المعرفي الكامن للحضارة الغربية وسلبيات الحضارة الغربية والتي تختفي وراء المطلق الغربي والتفوق العالمي الذي يُروج له. كما يبين المسيري، من خلال نقده للحضارة الغربية، آثار الجوانب السلبية للحضارة الغربية على العالم أجمع بشكل عام وعلى البلدان العربية الإسلامية بشكل خاص. ومن أهم سمات فكر المسيري هو أنه يصل فكره بالواقع الذي يعيشه، ففكر المسيري ينطلق من الواقع ويعود إليه، ويهدف المسيري من ذلك إلى توضيح فكره وتأكيده والوصول به إلى القارئ بسهولة ويسر.

إن المسيري أثناء قيامه بنقد كلي للحضارة الغربية لم ينكر الإنجازات المذهلة التي حققتها الحضارة الغربية، بل وقد أشار إليها بشيء من التفصيل، إلا أن افتراض التفوق المطلق للحضارة الغربية والتحيز غير الواعي لها والرضاء الكامل بالحضارة الغربية بخيرها وشرها وحلوها ومرها، قد دفع المسيري إلى إفراد الجزء الأكبر في حديثه النقدي حول الحضارة الغربية عن سلبياتها وآثارها التي وصفها في بعض الأحيان بالمدمرة على العالم أجمع.

وسيقدم هذا القسم رؤية المسيري النقدية للحضارة الغربية. ومن خلال القراءة التحليلية لفكر المسيري فقد اتضح للباحث أن عملية النقد الكلى التي قام بها المسيري للحضارة الغربية قد تمثلت في أمرين رئيسيين وهما:

أولاً: الانفصال عن القيمة/ المعنى/ المقدس

ثانيًا: نزع القداسة عن الإنسان

3-1 الانفصال عن القيمة/ المعنى/ المقدس

يوضح المسيري أحد أهم سمات الحضارة الغربية كما يراها وهي المتمثلة في الانفصال عن القيمة/ المعنى/ المقدس، وتعبيرًا عن ذلك يقول المسيري: "هناك أشياء مثل حس الإنسان الخلقي والديني، وحسه الجمالي وقلقه وتساؤله عن الأسئلة النهائية الكبرى، وهي أحاسيس لا يمكن تفسيرها على أساس مادي. إن عبارات مثل القتل شر، هذه اللوحة جميلة، وقلق الإنسان بخصوص مصيره في الكون، كلها أمور غير موجودة في هذا النطاق المادي للحضارة الغربية" [156].

ويعرف المسيري العلمانية الشاملة بأنها إحدى ركائز الحضارة الغربية من أجل توضيح أهم السمات الخفية لهذه الحضارة، فيقول إن "العلمانية الغربية أو العلمانية الشاملة لا تفصل فقط الدين عن الدولة، وإنما تفصل كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية عن كل جوانب الحياة العامة والخاصة إلى أن يتم نزع القداسة تمامًا عن العالم"[157]. "ففي ظل العلمانية الشاملة هناك انفصال تام بين السياسة والأخلاق، الصناعة والأخلاق، المجتمع والأخلاق، الفرد والأخلاق، ولذلك تنتشر أخلاق الصيرورة والتغير وهي المتمثلة في التسليم بما هو قائم والرضوخ له على أن يتم ذلك وفقًا لقواعد اللعبة المتفق عليها"[158] .

ويطلق المسيري على الحضارة الغربية حضارة الإجراءات، "فحضارة الإجراءات لا تتعامل مع الواقع إلا بشكل موضوعي، أما أمور مثل الأخلاق والدين والضمير فهي كلها أمور خاصة لا يمكن تطبيقها في إطار الحياة العامة، وبالتالي فقد خلقت هذه النظرة الالتزام ببعض الإجراءات مهما كان هدفها وهو ما يطلق عليه قواعد اللعبة، ويتم الالتزام بها بشكل صارم".

---

[156] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر: دمشق، ص.56.

[157] المسيري، ع. (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (المجلد الثاني)، دار الشروق: القاهرة، ص. 472.

[158] حرفى، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر العربي: دمشق، ص. 280، 285، 286.

ويوضح المسيري ذلك فيقول "وهو ما ينعكس في الحديث عن مصلحة الدولة العليا، كما يمكن ملاحظة ذلك في كيفية التعامل مع الإجراءات المفروضة، فالاتحاد السوفيتي كان يفرض عقوبة الإعدام على من يسرق من أملاك الدولة (وليس قطع اليد مثلا)، كذلك إذا قام أحد بكسر إشارة في الولايات المتحدة الأمريكية فتقوم الدنيا ولا تقعد"[159].

ويقدم المسيري أمثلة تطبيقية للدلالة على انفصال الحضارة الغربية عن القيمة والمعنى فيقول "كان لي صديق أمريكي ذكي وسريع البديهة وعنده إحساس بالنكتة، ولكنه كان يدور في الإطار المادي، وكنت أحاوره مرة وتحدثت عن القيم الأخلاقية المطلقة مثل الأمانة والكرامة التي قد لا تنفع كثيرًا من الناحية المادية فأجابني مازحًا: هل يمكن أن تنسخ لي هذه القيم على ماكينة النسخ؟ [160] . وتعبيرًا عن النفعية الغربية المنفصلة عن القيمة، يذكر المسيري المثال التالي فيقول "وهناك تلك المرأة التي فازت في مسابقة للصور الفوتوغرافية وكانت الصورة الفائزة لزوجها بينما كانت تلتهمه الأسود، فقد كانت معه في سفاري في أثيوبيا، وحين سقط ابنها من السيارة خرج الأب لإنقاذه وقد نجح في ذلك بالفعل، ولكن أحد الأسود هجم عليه، وقد حاولت الزوجة إنقاذه، وحينما أدركت عدم نجاح المحاولة قامت بتصويره"[161] .

ثم ينتقل المسيري إلى النتيجة الرئيسية لانفصال الحضارة الغربية عن القيمة والمعنى وهي ظهور النسبية المطلقة، فيقول "إنه في ظل عالم مجرد من القيمة تصبح كل الأمور متساوية، ومن ثم تصبح كل الأمور نسبية، وحين يحدث ذلك فإنه يصعب الحكم على أي شيء، ويصبح من المستحيل التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم، والجميل والقبيح وبين الجوهر والنسبي، وأخيرًا بين الإنسان والطبيعة أو الإنسان والمادة"[162] .

---

[159] حرفى، س. (2009)، المرجع السابق، ص ص. 285-286.
[160] حرفى، س. (2009)، المرجع السابق، ص. 287.
[161] حرفي، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، دار الفكر العربي: دمشق، ص. 20
[162] المسيري، ع. (2008). الإنسان والشئ، متاح على الرابط التالي: https://shorturl.at/pszl5

وتوضيحاً لما سبق يقول المسيري "إن هذه النسبية تسعى إلى نسف كل الحدود وأي معيارية، وكذلك نسف وجود أي ثابت إنساني يفصله عن غيره من الكائنات. بل إن هناك محاولة لإلغاء الثنائية الإنسانية (الرجل / المرأة)، ففي كل الحضارات يتم السعي نحو التمييز بين الرجل والمرأة في الملبس وكل المظاهر الاجتماعية، إلا أن الحضارة الغربية تسعى إلى عكس ما تقوم به كل الحضارات ومن الممكن ملاحظة ذلك في ملابس الـ Unisex، كما أن دعوات حقوق الشواذ لم تعتبر مشكلة أخلاقية فقط وإنما هي مشكلة معرفية أيضًا فهي محاولة لنسف كل الحدود والمعايير الإنسانية"[163] .

ويوضح المسيري بأنه مع انتشار النسبية المطلقة، "أصبح هناك مساواة بين كل الأمور ولم يعد هناك مقدرة على التفرقة بين الخير/ الشر، الجميل/ القبيح، الفن/ اللافن، الحلال والحرام"، ثم يقول "لقد أصبح كل شيء مطلق ومرجعية ذاته، فبغياب المرجعيات الإنسانية يصبح كل شيء مرجعية ذاته"[164] ، "وقد بدأ الإطلاق في مجال الاقتصاد وأصبح معايير الاقتصاد اقتصادية وما يتحكم فيه لا يتخطى آليات السوق (والعرض والطلب)، وكذلك فقد انتقل الأمر إلى السياسة بحيث يتم الحكم على السياسة بمقاييس سياسية فقط، وعندما تنفصل الدولة عن الدين والقيم والغائيات والمطلقات فإنه يعنى أيضًا انفصال المجتمع عن كل هذا، وتصبح المعايير السياسية هي التي تتحكم في المجتمع"[165] .

وقد أصبحت الرياضة مرجعية ذاتها وأصبح الفوز وهزيمة الخصم هو الهدف بعد أن كانت الرياضة وسيلة لتهذيب الجسد والنفس، وقد تم تحييدها تمامًا عن العناصر الاجتماعية والإنسانية، لقد أصبحت الرياضة نتيجة لتحييدها حلبة للصراع وهو ما يتضح عندما تنشب

[163] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص. 70.
[164] حرفي، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، مرجع سبق ذكره، ص. 177.
[165] المسيري، ع. (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (المجلد الثاني)، مرجع سبق ذكره. ص ص. 139-141.

المشاجرات بين الفريقين، بل وفى بعض الأحيان قد يصل الأمر إلى موت إحدى المتشاجرين"[166] .

ثم يتحدث المسيري عن الإبداع المطلق العلماني الجديد "حيث إن مدافعي الإبداع والفن جعلوا من الفن والإبداع مرجعية لذاته وهو ما يعنى الحكم على الفن بالفن والإبداع بالإبداع، والذى إن تم الاعتراض عليهما من منظور أخلاقي أو حتى جمالي فيتم اتهامك بالتخلف والوقوف أمام الإبداع"، ويقول المسيري "إن ذلك المطلق والمسمى الإبداع أصبح يروج إلى القيم الإباحية والتي أصبحت تهدد مجتمعاتنا، والأكثر من ذلك بأن هؤلاء من مدافعي الإبداع المطلق لم يطبقوا القيم التي يروجوا إليها في حياتهم الخاصة ويقوموا بالترويج لها من أجل تحقيق أرباح مادية"[167] .

ويقول المسيرى: "فهؤلاء الذين يدافعون عن حرية التعبير بلا حدود جعلوا الفن مطلقاً، سحبوا الإطلاق من أى قيم مطلقة (أخلاقية كانت أم إنسانية أم دينية)، وجعلوا منها شأنًا خاصًا، وأمرًا من أمور الضمير، وتصوروا أن القيم الأخلاقية توجد في قسم خاص في وجدان الإنسان منفصل تماماًعن عالم السياسة وعالم الاقتصاد وعالم الاجتماع الإنسانى. لذا، حين يتم تناول ظاهرة ما فهى إما أن تكون ظاهرة خاضعة لقيم أخلاقية ما، أو ظاهرة عامة في رقعة الحياة العامة ومن ثم فهى Value Free أى منفصلة عن القيمة". وتوضيحاً لذلك فيقول المسيري "قد أدت هذه النسبية والإطلاق إلى انتشار العبثية والعدمية وهو ما يظهر بوضوح في الفن الغربي. فنجد أن أحد الفنانين التشكيلين قد قام بكسر زجاج على الأرض وأصبح ذلك فناً، كما قام أحدهم بتشكيل قاعدة تمثال، وفى هولندا قام هو بالوقوف عليها وطلب من

[166] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص. 174.
[167] المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ص. 130.

الحكومة تمويله وفقاً للقانون الهولندى، وكل ذلك يعكس انتشار العبثية وغياب المعايير الجمالية"[168].

مما سبق، اتضح لنا كيف أوضح المسيري أن النسبية المطلقة قد انتشرت في كل مجالات الحياة واختفت كل المعايير الإنسانية وأصبحت الأمور مثل الأخلاق والدين والضمير شأناً خاصاً وأصبحت كل الأمور مرجعية ذاتها ومن ثم يصبح من المستحيل التفريق بين الخير/ الشر، الظلم/ العدل، الجميل/ القبيح، الفن/ اللافن، وكما أوضح المسيري ففي إطار غياب كل المرجعيات الأخلاقية الثابتة يصبح الثبات الوحيد هو لقوانين التغير.

ولهذا يتساءل المسيري "فمن هو الذي يحدد القيم والإجراءات المتبعة في ظل هذا النموذج المعرفى غير المتجاوز للمادة، ماذا لو قررت الأغلبية وفقاً للرؤية المادية الطبيعية ضرورة إبادة المرضى الذين لا يُرجى شفاؤهم؟ ومع صعيد العلاقات الدولية، ماذا لو قررت دولة مثلا غزو الدول والشعوب الأخرى، فما الأساس الأخلاقى لمحاولة وقفها عن عدائها في ظل غياب المرجعيات الإنسانية المشتركة؟ وماذا لو قررت الأغلبية العددية تشجير العالم كله وماذا لو قررت الأغلبية تدمير الكرة الأرضية مثلاً؟"[169].

لقد قدم المسيري هذه التساؤلات دون إجابة، إلا أنه أراد بهذه التساؤلات إلقاء الضوء على مدى خطورة انفصال القيمة والمعنى عن كل نواحى الحياة كما يحدث في ظل الحضارة الغربية التى تنطلق من نموذج إدراكى مادي يفتقد كل المعانى والقيم والأخلاق ولا يؤمن إلا بما تقتضيه المصلحة وتدركه الحواس الخمس.

وينتقل المسيري إلى سمة أخرى من سمات الحضارة الغربية وهي أن الحضارة الغربية حضارة يغيب فيها المعنى والمقدس، حيث تختفي كل المعايير الإنسانية بما في ذلك المعايير الدينية. وتوضيحاً لذلك يشير المسيري إلى ما قاله العالم البريطانى ريتشارد دوكينز أستاذ علم

[168] حرفى، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العلمانية والحداثة والعولمة، مرجع سبق ذكره، ص. 177.

[169] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص. 57.

الأحياء في جامعة أكسفورد، "بأن الإيمان بإله متجاوز للنظام الطبيعى إن هو إلا خلل في العقل يشبه الفيروس الذي يصيب الكمبيوتر"[170]. وأراد المسيري بذلك أن يعكس المرجعية المادية التي تشبه الحاسوب المبرمج، وذلك بما يتعارض مع وجود المقدس والروحى.

وفى هذا الصدد يقول المسيري إن اختفاء المقدس يختلف مع طبيعة الإنسان، "فالإنسان في تركيبته باحث عن المعنى فهو يتطلع دائماً إلى شيء غير مادي"، "فالإنسان كائن ميتافيزيقى يبحث عن معنى الوجود، معنى الموت، معنى الحياة، معنى الميلاد"[171] ، " والإنسان إذا لم يجد معنى له فى الكون فهو لن يستمر في الإنتاج المادى مثل الحيوان الأعجم، وإنما يتفسخ ويصبح عدمي اًو يتعاطى المخدرات وينتحر ويرتكب الجرائم دون سبب مادي واضح"[172] .

إن الحضارة الغربية لذلك حضارة علمانية مادية تهاجم كل ما هو مقدس / روحى. ويشير المسيري إلى حادثة الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام من قبل إحدى الصحف الدنماركية، ويقول المسيري "لقد ثار الشارع المسلم بشدة على الدنمارك وقامت المظاهرات وطالبت الحكومة الدنماركية بالاعتذار، ولو أننا دققنا النظر لوجدنا أن سب الإسلام وكل الأديان مسألة شبه روتينية في العالم الغربي خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ومن هنا فنخلص بأن الإحساس بالمقدس قد اختفى في الغرب، وأن العداء ليس للإسلام وحده وإنما لكل ما هو متجاوز لسطح المادة، وأن الغرب ليس مسيحياً وإنما علمانيًا "[173].

ونستطيع أن نقرأ من خلال تقديم المسيري لأحد أهم السمات الرئيسية الخفية للحضارة الغربية والمتمثلة في انفصال الحضارة الغربية عن القيمة / المعنى / المقدس، إحدى ثوابت المسيري الفكرية، فالمسيري ينتمى إلى المدرسة الفكرية القيمية التي تولى اهتمامًا بالقيم

[170] المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص. 232.
[171] حرفي، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، مرجع سبق ذكره، ص. 58.
[172] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص. 76-78.
[173] حرفى، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العلمانية والحداثة والعولمة، مرجع سبق ذكره، ص.296.

والمبادئ الأخلاقية وتنكر النظر إلى جوانب الحياه من منطلق مادى لا يتجاوز الحواس الخمس للانسان، ولذلك فإننا نلاحظ إلقاء المسيري الضوء على العواقب المترتبة على تهميش القيم والأخلاق وذلك عندما تحدث عن النسبية المطلقة والمتمثلة في عدم القدرة على التمييز بين (الخير والشر، الجميل والقبيح، الحلال والحرام،..). بالإضافة إلى ذلك فإننا نستطيع أن نقرأ موقف المسيري من المقدس، والذي يحتل محورًا رئيسيًا في فكر المسيري، فالمسيري يقدم الدين باعتباره الشيء الذي يبحث عنه الإنسان دومًا، ولا يستطيع أن يحيا بدونه، فالإنسان كما قدمه المسيري كائنًا ميتافيزيقيًا، يبحث دائمًا عن معنى الوجود، معنى الحياة، معنى الموت ومعنى الميلاد.

3-2 نزع القداسة عن الإنسان

يحتل الإنسان مركزًا في فكر المسيري وهو ما انعكس في رؤيته النقدية للحضارة الغربية، حيث اعتبرها المسيري حضارة ضد الإنسانية أى حضارة ضد إنسانية الإنسان، ويرجع المسيري السبب الرئيس في ذلك إلى النموذج المادي الذى تنطلق منه الحضارة الغربية والتي تنظر إلى الإنسان فى بعده المادى فقط والمتمثل في حواسه الخمس، أما البعد الروحى للإنسان (غير المادى) فهو ما يتجاهله النموذج المادى الذى تنطلق منه الحضارة الغربية، وبالتالى فإن نزع القداسة عن الإنسان كان من أهم السمات التي ألقى المسيري عليها الضوء في إطار رؤيته النقدية للحضارة الغربية.

ويبين المسيري كيف أن الحضارة الغربية تنزع القداسه عن الإنسان، ويكشف الغطاء عن هذه السمة كما يلي:

يقول المسيري "يتسم عصر ما بعد الحداثة بالاستهلاكية فهى سمة أساسية في الفلسفة الغربية، فقد اكتشف فلاسفة الاستهلاكية الغربية حقيقة أساسية، اكتشفها آخرون من قبل (فقهاء وعلماء اجتماع) وهي أن النفس البشرية لا تشبع قط، وأنها في غياب الحدود يمكنها أن تمتد دون أى توقف إلى أن تفنى نفسها فيما حولها وفيما تشتهى، وقد كانت هذه الحقيقة بالنسبة

للفقهاء والعلماء مصدرًا للنكبة، أما بالنسبة لفلاسفة الاستهلاكية فهى تمثل نقطة ثبات تصلح أساسًا فكريًا ونسقًا لفلسفتهم"[174].

ويوضح المسيري أن هذه الحقيقة تتسق مع النموذج المعرفي المادي للحضارة الغربية والذي يرى العالم كله مادة استعمالية بما في ذلك الإنسان، "فالإنسان من هذا المنظور المادى يتم اختزاله فى إطار دوافعه الاقتصادية والجسمانية فقط، ومن ثم فلا وجود للإنسان الإنسانى، ذلك الإنسان الذي يحوي داخله عناصر ربانية تتجاوز دوافعه المادية والغريزية. إن الإنسان الطبيعى (المادى) يعيش حياته من أجل البيع والشراء، الإنتاج والاستهلاك وإشباع رغباته ولذاته". ثم يقول "وقد قامت الدولة المركزية العلمانية المطلقة باعتبارها أكثر الآليات كفاءة بعمليات ترشيد الإنسان لينتقل إلى حالة الإنسان (الطبيعى / المادى) بالإضافة إلى ذلك قام قطاع الإعلام واللذة بالدور التكميلى لعملية الترشيد الإنسانى"[175].

ويوضح المسيري عملية الترشيد التي تمارسها الحضارة الغربية على الإنسان ويقول "وعملية الترشيد عملية في غاية الصعوبة، ولكنها ذات أثر فعال فهى تجعل الفرد ينظر إلى ذاته وإلى الكون بالطريقة التى تنظر إليه الدولة المطلقة من خلالها"، والترشيد هو أن الإنسان "يصبح مجموعة من الدوافع المادية والاقتصادية والجنسية، لا يختلف في سلوكه عن سلوك أى حيوان أعجم، كذلك فإدراك الإنسان للواقع ليس عقلانياً وإنما تحكمه مصالحه الاقتصادية وأهواءه الجسمانية"[176]. "فالدولة العلمانية المطلقة والاقتصاد الرشيد المطلق يريدان إنسانًا ذي بعد واحد، إنسان لا تحركه إلا دوافع رغبته ولذته حتى يستطيع أن يذوب في الآليات السياسية والاقتصادية للدولة ويتلقى الأوامر وينفذها بكفاءة عالية"[177].

ثم يبين المسيري كيف كان العائق الوحيد أمام الدولة العلمانية المطلقة في ترشيد الإنسان هو "المؤسسات الوسيطة كالأسرة والكنيسة والجيوب الإثنية والدينية واللغوية المختلفة"،

---

[174] المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص. 43.
[175] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص. 137.
[176] المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص. 49.
[177] المرجع السابق، ص. 135.

حيث تأخذ المؤسسات جزءًا كبيرًا من ولاء الإنسان وتعوق عملية ترشيده لما تغرسه فيه من قيم وأخلاقيات مما يعوق الوصول إلى الإنسان ذا البعد الواحد"، ثم يبين المسيري كيف تعاملت الدولة المطلقة مع المؤسسات الوسيطة فيقول "فقد تم تهميش الدين والقضاء وكل المؤسسات والجماعات الوسيطة"[178]، "حيث إن الأسرة بدأت في التآكل فتقوم الدولة بالمهام التي كانت تقوم بها الأسرة مثل التعليم والتنشئة، وينفصل الابن عن أسرته حينما يصبح دافعًا للضرائب وربما قبل هذا السن، وتتم تنشئة الأطفال في حضانات تتسم بالكفاءة العالية تتم صياغتهم فيها في مرحلة مبكرة حتى يمكنهم التحرك بكفاءة في الحياة العامة، وبذلك يتم تفكيك الأسرة والتي تعتبر المؤسسة الاجتماعية التي يكتسب الإنسان من خلالها إنسانيته المركبة وهويته الاجتماعية"[179] .

وقد اتضح لنا مما سبق كيف صور المسيري عملية الترشيد التي يخضع لها الإنسان وفقاً للنموذج الحضارى الغربي والتي يتم خلالها اختزاله في بعده المادى حتى يتم توجيهه بعد ذلك لصالح الدولة العلمانية المطلقة والتي لا تتحرك إلا وفقاً للمنظومة المادية.

ثم يتحدث المسيري عن الإنسان بعد عملية الترشيد فيقول "وقد نتج عن عملية الترشيد الإنسان الاقتصادى والذي لا يتحرك إلا في إطار آليات المصنع والسوق والذي يوظف لخدمتها ولا يتجاوزها، فهو في المصنع يوظف في إنتاج السلع والمزيد من السلع ثم ينتقل إلى السوق ويتحول هنا إلى قوة شرائية فيقوم بشراء السلع واستهلاكها، وهذا الإنسان هو إنسان بلا حضارة ولا تاريخ ولا يعرف الخصوصية ولا الكرامة، وهذا الإنسان الاقتصادى لا يخدم إلا مصلحته ويتحرك بدون أى دوافع أخلاقية" [180].

ثم يقول "وبفعل التطور التاريخى والاقتصادى والاجتماعى وبعد أن انتهت مرحلة التقشف والتي كانت تتطلب زيادة في الإنتاج فقد اكتسب هذا الإنسان الاقتصادى أبعاداً جديدة،

[178] المرجع السابق، ص.136.
[179] المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سبق ذكره، ص. 158.
[180] المسيري، ع. (2001). العالم من منظور غربي، دار الهلال: القاهرة، ص.157.

وأصبح إنساناًجسمانياً تحركه دوافعه الجسدية والغريزية، فهو لا يبحث إلا عن إشباع لذته، فبعد مرحلة الإنتاج والمزيد من الإنتاج، ينتقل إلى مرحلة الاستهلاك والمزيد من الاستهلاك، وبعد أن كان هدف الإنسان الاقتصادى (المنفعة) أصبح هدف الإنسان الجسمانى (اللذة)، وإذا كان (المصنع / السوق) تعبير عن الإنسان الاقتصادى الذى تحركه دوافعه الاقتصادية، فإن قطاع اللذة في المجتمع (شركات سياحة، نوادى رياضية، نوادى ليلية، مجلات وأفلام إباحية، مراقص ديسكو)، هو تعبير عن الإنسان الجسمانى الذى تحركه دوافعه الجسدية، والإنسان الجسمانى إنسان نمطى يعيش ليستهلك وتكتسب حياته معنى من معدلات الاستهلاك التي يحققها وهو شأنه شأن الإنسان الاقتصادى لا تحركه أى دوافع أخلاقية"[181].

وعليه، فقد أوضح المسيري أن عملية الترشيد التي قامت بها الدولة العلمانية المطلقة والتي عززها قطاعا الإعلام واللذة قد جردت الإنسان من إنسانيته وحولته إلى إنسان وظيفى، اقتصادى، جسمانى، فقد تم ترشيد الإنسان لينفذ الأوامر المطلوبة منه سواء من خلال الوظيفة المنوط بها أو من خلال أوامر قطاع اللذة والذي يحدد له احتياجاته والمنتجات التي يقوم هو بشرائها برضاء تام.

ويتحدث المسيري عن الإمبريالية النفسية تعبيرًا عن أسلوب القمع الذى يستخدمه قطاعا الإعلام واللذة في ترشيد الإنسان وذلك من خلال (الإغواء)، "والإمبريالية النفسية تعنى محاصرة النفس البشرية بثورة من التوقعات والتطلعات التي لا تنتهى، حيث هيمنت الإمبريالية النفسية على الداخل الغربي، فالمجتمعات الغربية تعتبر مجتمعات شمولية بدون وجود قهر خارجى، أى بدون وجود شرطة، فالمرء يستبطن الرؤية السائدة للمجتمع وتهيمن عليه برضاء كامل منه، وتقوم الإمبريالية النفسية بالترويج للإنسان الاقتصادى والجسمانى، وفى إطار الإمبريالية النفسية فالهدف من الإنتاج هو الاستهلاك والهدف من زيادة الإنتاج هو زيادة الاستهلاك، بل إن حياة الإنسان تكتسب معنى إن هو صعد استهلاكه، بل إن سعادته لن تكتمل إلا من خلال السلع التي يقوم بشرائها، وبالتالى لابد أن يقوم الإنسان بتغيير سيارته كل عام وأن يشترى

[181] المسيري، ع. (2001). العالم من منظور غربي، المرجع السابق، ص. 158.

قميصا من النوع الفلانى، وأحذية من النوع العلانى، وبالتالى تصبح السلعة هى مركز الكون لتمثل محل الإنسان، ومن ثم تتحول كثير من الكماليات إلى ضروريات لا تكتمل حياة الإنسان بدونها". والإمبريالية النفسية "تقوم بتحديد الهدف للمواطن أو المشاهد، فهو ليس السعادة أو التوازن وإنما الاستهلاك ومزيد من الاستهلاك. وفى الخطاب الشعبى الأمريكي يقولون " shop till you drop" فلتتبضع حتى تسقط ميتاً من الاستهلاك، وكذلك فهناك مصطلح مدمن التبضع "shopaholic" أي الإنسان الذى يذهب إلى التبضع، لا لأنه يريد شيءً ما وإنما لأنه أدمن هذه العملية"[182].

إن المسيري قد أوضح لنا كيف أن الحضارة الغربية والتي من أهم سماتها غياب المعنى والميتافيزيقى، قد رشدت الإنسان الغربي ليصبح هو الآخر كائنا بلا معنى فقد نزعت القداسة عن الإنسان واختزلته في جانبه المادى، وأصبح إنساناً لا يبحث إلا عن لذته ومنفعته فقط فهو إنسان بلا تاريخ وبلا أى دوافع أخلاقية أو حتى إنسانية. إن كل إنسان يحوي داخله جوانب مادية وأخرى روحانية مما يحقق نوعا من التوازن لذلك الإنسان، إلا أن النموذج الغربي قد أحدث خللاً في هذا التوازن لصالح الإنسان المادى.

ويصف المسيري الإنسان في ظل النموذج الحضارى الغربي ويتحدث عن "عنصرية التسوية"، ويقول إنها "نوع جديد من العنصرية وهى عنصرية ما بعد الحداثة والتي تختلف عن العنصرية العرقية والتي كانت تتسم بها مرحلة الحداثة، فإذا كانت عنصرية العصر الحداثى قائمة على الفروق الإثنية والعرقية وتهاجم الفروق العرقية، فعنصرية التسوية تهاجم الفروق الإنسانية، وذلك لا يعنى المساواة بين البشر وإنما التسوية بين البشر وبين الكائنات الأخرى من الحيوان والجماد وبالتالى تكون دعوة عنصرية التسوية "ليس دعوة للمساواة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإنما المساواة بين الإنسان وأخيه الحيوان، وبين الإنسان وأخيه الجماد"[183].

[182] المسيري، ع. (5 إبريل2007). الإمبريالية النفسية، متاح على الرابط التالي: https://shorturl.at/r0CUR

[183] المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص. 327.

إن عنصرية التسوية تعد هجوماً على إنسانية الإنسان لتسويته بغيره من الأشياء وينعكس ذلك فى الدعوة إلى الحقوق الجديدة التي ظهرت الآن فنجد دفاع عن حقوق الأشجار، حقوق الحيوان، حقوق الشواذ، حقوق فقدان الوعي، حقوق الأطفال، وكل ما يخطر ولا يخطر على بال، وهذه الدعوات هى فى حقيقتها محاولة إلى نسف حدود الإنسانية المشتركة وهجوماً عليها ليصبح الإنسان كائن مادي بلا تاريخ ولا حضارة فهو إنسان بلا لون ولا طعم ولا رائحة[184].

وبناءً عليه، يتضح لنا رؤية المسيري حول الإنسان الذى يعيش وفقاً للنموذج الغربي المادى في إطار المادة فهو لا يتجاوز عالم حواسه الخمس، والمشكلة كما قدمها المسيري ليست في إشاعة هذا النموذج فقط، وإنما تكمن في القبول التام الذى يبديه الإنسان الغربي له دون أى اعتراض منه، فهو يرى أن نمط الحياة الذى يعيشه هو قمة التقدم، ولكنه في الواقع هو قمة الرجعية حيث يفقد الإنسان ما يميزه كإنسان وهو العنصر الربانى، الجانب الروحى لديه ويقوم بتسويته بغيره من الكائنات، فقد أوضح المسيري كيف نجح النموذج الغربي في تحويل العالم أجمع إلى مادة استعمالية بما في ذلك الإنسان لإدخاله في دائرة الإنتاج والاستهلاك اتساقاً مع الإيمان المطلق بالاقتصاد الرشيد وآليات السوق الذى يجب على الجميع الخضوع لها، وتنتهى بذلك بأن أصبح الهدف من الحياة هو الإنتاج والاستهلاك وأن يحقق الإنسان منفعته ولذته.

وإجمالاً لما سبق فإن السيد هاشم يقول "إن الحضارة التي هزت مجتمعنا في هذا القرن وسبقت الصحوة الحالية فهى باتفاق الجميع حضارة مادية ألغت إنسانية الإنسان، وسعت إلى السيطرة واستعباد الضعيف ونشر الجهل والتأخر، فهى حضارة تقوم على الأنانية، لا على الإنسانية"[185].

---

184 المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص ص. 323-327.

185 هاشم، أ. (30 يولية 1990). رحلة العقل العربى من التأثر إلى التأزم، مجلة المسلم المعاصر العدد ٥٧، متاح على الرابط التالي: https://shorturl.at/1WM9F

وعليه، قدم المسيري نقدًا كليًا للحضارة الغربية، وقد تم التوصل إلى أن العناصر الرئيسية التي يدور حولها النقد الكلي للحضارة الغربية والتي قام بها عبد الوهاب المسيري تتمثل في:

(أ) انفصال الحضارة الغربية عن القيمة وغياب المعنى والميتافزيقى مما ينتج عنه غياب كل المرجعيات الأخلاقية والإنسانية وشيوع النسبية المطلقة بحيث تتساوى كل الأمور الجميل/ القبيح، الخير/ الشر، العدل/الظلم، الفنى/ الأفنى، الحرام/ الحلال، (ب) نزع القداسة عن الإنسان واختزاله فى دوافعه الغريزية وتسويته بغيره من الكائنات بحيث يصبح الإنسان كاليرقة، كالحيوان، ويتم تحويله لمادة استعمالية لخدمة المشاريع الاقتصادية والعلمية للحضارة الغربية.

وقد عكست العناصر السابقة الثوابت الفكرية لعبد الوهاب المسيرى، فهى تمثل موقف عبد الوهاب المسيرى من الحضارة الغربية كما أنها تعكس أساس رؤيته للنهضة. من هذا المنطلق يؤكد المسيري أمرين: الأول، أهمية المرجعيات الأخلاقية وأهمية الميتافيزيقى للإنسان، والثاني، أهمية التمسك بإنسانية الإنسان والذي يحوي داخله جوانب روحية ونفحة إلهية إلى جانب الجوانب المادية لأنه إذا تم اختزال الإنسان في جوانبه المادية يتساوى مع ما هو أدنى منه من كائنات.

لذا، دعا المسيري إلى تجاوز الحضارة الغربية من خلال أمرين، الأول، الانفتاح على العالم أجمع وعدم الانغلاق على الحضارة الغربية، والثاني، طرح نموذج حضاري جديد:

أ) الانفتاح على العالم

يتحدث المسيري عن الانفتاح على العالم أجمع وعدم الانغلاق على الحضارة الغربية فيقول "إن الانفتاح في معجمنا أصبح الانغلاق على الغرب، فالغرب تشكيل حضاري مهم بلا

شك، ولكنه ليس التشكيل الأوحد، كما أنه لا يشكل مركز الكون والطبيعة والتاريخ، فلم نسمع أحدًا يطالب بالانفتاح على الصين أو اليابان أو الدول الإسلامية التي لا تتحدث العربية"[186].

وفي هذا الصدد، فإن المسيري يتحدث عن "الأسلوب الاستيعابي" الذي يستوعب كل التشكيلات الحضارية الشرقية والغربية، ولكنه يفرق بين أمرين: التقليد والمحاكاة، فهو يرفض التقليد، أما المحاكاة كما قدمه المسيري فهي "أن يحاول المرء أن يصل إلى جوهر شيء ما، ثم يولد منه ما يتناسب مع زمانه ومكانه"[187]

وعليه، دعا المسيري إلى الانفتاح على العالم أجمع، وعلى كافة التشكيلات الحضارية والاستفادة منها، وذلك دون الانغلاق على الحضارة الغربية، حيث دعا المسيري إلى ضرورة رد الحضارة الغربية إلى مكانها الحقيقي كتشكيل حضاري مهم ضمن تشكيلات حضارية أخرى ينبغي الاستفادة منه، كما ينبغي الاستفادة من غيره من التشكيلات الحضارية.

ب) طرح نموذج حضاري بديل نابع من الهوية والتراث الإسلامي

يهدف المسيري النموذج البديل الذي طرحه الانطلاق من الهوية والتراث العربي والإسلامي وتحقيق القدرات الإبداعية خلاله، كذلك يهدف المسيري من خلال هذا النموذج إلى الإسهام في تشكيل حضاري داخل الإنسانية المشتركة، وتجاوز مرحلة التقليد البغبغائي للحضارة الغربية.

وقد أكد المسيري على أن هذا النموذج الحضاري البديل يحتاج إلى تضافر الجهود الفكرية والعلمية من مختلف التخصصات، وذلك لخلق بدائل حقيقية تتلاءم مع بيئتنا ومجتمعنا، وتكون نابعة من هويتنا وتراثنا. ويؤكد المسيري على أنه لا أمل في تحقيق أي نهضة دون الوقوف على أرض صلبة من هويتنا وتراثنا، فالإبداع لا يمكن تحقيقه إلا في الإطار الخاص، فالطاقات الإبداعية ترتبط بشكل وثيق بهوية الإنسان التي تميز كل إنسان عن غيره. ويؤكد

[186] حرفى، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العلمانية والحداثة والعولمة، مرجع سبق ذكره، ص.333.

[187] المرجع السابق، ص. 201.

المسيري كذلك على أن الإنسان يكتسب إنسانيته من تاريخه وحضارته، لا من تاريخه وطبيعته. وعليه، اقترح المسيري نموذج حضاري عربي/إسلامي بديل، يستطيع الإنسان العربي المسلم من خلاله أن يحقق طاقاته الإبداعية. ومن أهم منطلقات النموذج الحضاري البديل الذي قدمه المسيري أنه نابع من التراث، وينطلق من مقولة غير مادية، فهو ينطلق من مقولة الإنسان، كما أن هذا النموذج البديل يفصل مفهوم الحداثة عن مضمونها الاستهلاكي وعن التقدم في إطاره المادي، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا النموذج الحضاري البديل لا يفترض اليقين والمعرفة الكاملة، وإنما يدعو إلى الاجتهاد المستمر[188].

خـاتـمـــة:

ساهمت الدراسة في تقديم موضوع الحضارة الغربية من مدخل تحليلي جديد وهو المركزية الغربية، وأوضحت كيف انعكس موقف كل مدرسة فكرية من المركزية الغربية على رؤيتها للحضارة الغربية. فبينما قدم برنارد لويس (ممثل المدرسة الاستشراقية) الحضارة الغربية بنظرة غربية التمركز، باعتبارها الحضارة الوحيدة دون سواها الأجدر بالاتباع، قدم المسيري (ممثل المدرسة العربية النقدية) نموذج عربي إسلامي بديلاً عن النموذج الغربي ومتسقًا مع الهوية والخصوصية العربية الإسلامية.

أجابت الدراسة عن السؤال الرئيس والأسئلة الفرعية للدراسة من خلال تقديمها لمقارنة بين نموذجين لمدارس فكرية مختلفة للتعرف على كيفية تناولهم لموضوع الحضارة الغربية في ضوء المركزية الغربية، والتعرف على دوافعهم الفكرية لذلك، حيث عرضت الدراسة فكر برنارد لويس كممثل عن المدرسة الغربية الاستشراقية، وأوضحت كيف قام لويس بتقديم الحضارة الغربية. وعلى الجانب الآخر، قامت الدراسة بعرض فكر عبد الوهاب المسيري كممثل عن المدرسة الفكرية العربية في جانبها النقدي للحضارة الغربية، وأوضحت كيف تعامل المسيري مع مركزية الحضارة الغربية. وقد اتضح كيف كان تجاوز المركزية الغربية والانطلاق من الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية المحرك الرئيسي لفكر المسيري.

[188] المسيري، ع. (2001). العالم من منظور غربي، مرجع سبق ذكره، ص ص. 280-293.

وبناءً عليه، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

أولاً: الاختلاف الفكري حول الحضارة الغربية يرجع إلى اختلاف المدرسة الفكرية والنموذج المعرفي لكل من المفكرين موضوع الدراسة، حيث تختلف الدوافع الفكرية لكل من برنارد لويس وعبد الوهاب المسيري. فقد تمثل الدافع الفكري الرئيسي لبرنارد لويس في إيمانه بالمركزية الغربية وافتراضه التفوق والتفرد الغربي، فالحضارة الغربية هي الوحيدة المخول لها وضع معايير التقدم للعالم أجمع. كما أن برنارد لويس ينتمي إلى النموذج المعرفي الغربي، الذي لم يول أهمية لهويات وخصوصيات المجتمع العربي الإسلامي، ولم يتقبل الخصوصية الثقافية والاعتبارات القيمية. على الجانب الآخر، ينتمي المسيري إلى النموذج المعرفي القيمي، ويتمثل الدافع الفكري الرئيسي لديه في البعد القيمي والأخلاقي في فكره، والذي كان المحرك الرئيسي للعملية النقدية الشاملة التي قام بها المسيري للحضارة الغربية.

ثانيًا: من خلال تقديم فكر كل من برنارد لويس والمسيري حول الحضارة الغربية، فقد تمت بلورة مفهوم المركزية الغربية، وتوضيح البعد الضمني لها من خلال تصوير الفكر غربي التمركز متمثلاً في فكر برنارد لويس، وكذلك كيفية تناول عبد الوهاب المسيري للمركزية الغربية، ومحاولته كشف الغطاء عن البعد الضمني لها من خلال قيامه بعملية نقد كامل يوضح الأبعاد السلبية الخفية للحضارة الغربية، ومن خلال أيضًا حديثه عن الانسياق غير الواعي للحضارة الغربية.

ثالثًا: أكدت الدراسة على الخصوصية الثقافية للبلدان العربية الإسلامية، حيث أكد برنارد لويس على هذه الخصوصية من خلال حديثه عن أسباب رفض المسلمين للحضارة الغربية، والدور الذي يلعبه الدين والتاريخ في حياة المسلمين، ومن خلال حديثه أيضًا عن قبول المجتمعات غير الغربية الأخرى (بعض دول آسيا على سبيل المثال) لمعطيات الحضارة الغربية في الوقت الذي رفض فيه المسلمون هذه المعطيات، تلك الخصوصية الثقافية التي اعتبرها لويس عائقًا أمام اللحاق بالركب الحضاري الغربي.

على الجانب الآخر، أكد المسيري على هذه الخصوصية الثقافية أثناء حديثه عن عدم ملائمة النموذج الحضاري الغربي للبلدان العربية الإسلامية نظرًا لما تتمتع به من خصوصية ثقافية، وكذلك حديثه عن أهمية الانفتاح على العالم وعدم الانغلاق على الحضارة الغربية،, واقتراحه لتمذج حضاري جديد نابع من تراث وهوية الدول العربية والإسلامية كما أكدت الدراسة على خصوصية الحضارة الغربية ومعطياتها، وهو ما أوضحه لويس حينما تحدث عن خصوصية الغرب وتفرده، والذي أفرز المعطيات الحضارية الغربية، وهو ما أوضحه المسيري أيضًا حينما بين أن المعطيات الحضارية الغربية وليدة ظروف خاصة وبيئة خاصة.

رابعًا: أكدت الدراسة على صحة نظرية أرنولد يوينبي حول (التحدي والاستجابة)، حيث أن الحضارة الغربية تسعى إلى فرض عناصرها الحضارية على المجتمع العربي الإسلامي، الأمر الذي يمثل تحديًا لهذا المجتمع لمواجهة هذا الغزو الحضاري (التحدي). وعلى الجانب الآخر، هناك مقاومة من المجتمع العربي لإجهاض هذه المحاولة (الاستجابة). وقد اتضح ذلك من خلال عرض فكر المسيري الذي قدم عملية نقدية للحضارة الغربية، موضحًا أن التقدم في البلدان العربية والإسلامية لا يمكن تحقيقه إلا بعد مقاومة هيمنة الحضارة الغربية على فكر وعقول الشعوب العربية الإسلامية.

كما أكدت الدراسة على صحة فرضية توينبي التي تفيد بأنه أثناء التلاقي بين الحضارات لا بد أن يؤدي تطور ما إلى تطور آخر. فقد أكد لويس على صحة هذه الفرضية عندما تحدث عن القبول التدريجي لمعطيات الحضارة الغربية بعد أن قوبلت بهجوم شديد من قبل العالم الإسلامي. على الجانب الآخر، أكد المسيري على هذه الفرضية أيضًا حينما تحدث عن التحيز للحضارة الغربية، وصور كيف شمل جميع نواحي الحياة في البلدان العربية الإسلامية، وتحدث عن الانفتاح على العالم أجمع، وعدم الانغلاق على الحضارة الغربية.

كما أكدت الدراسة على فرضية أخرى قدمها توينبي، والمتمثلة في أن أي حضارة تشكل كلاً كاملاً واحدًا، فلا يمكن فصل جزء منها عن باقي الأجزاء الاخرى، وإذا انفصل عنصر منها عن باقي العناصر الحضارية الأخرى تعذر عليه أن يبقى على حالته الأصلية، بل قد

يصبح فتاكًا في المجتمع الجديد الذي يخترقه. وهو ما أكد عليه لويس حينما تحدث عن أن الحضارة الغربية تعد كلاً واحدًا لا يمكن النظر إلى معطياتها باعتبارها سلعًا من الممكن شراء بعضها وترك البعض الآخر، وأن تبني العلم والتكنولوجيا الغربية يتطلب قبول الظروف المنتجة لهذا العلم ومحيط استخدامه. بالإضافة إلى ذلك، فقد أكد لويس أن التزاوج بين الحضارات لا يؤدي إلى أفضل ما في الحضارتين، وإنما يؤدي إلى أسوأ ما فيهما.

كما أكد المسيري على هذه الفرضية حينما تحدث عن التحيز للغرب ضد الذات، والذي ينتج عنه عملية صراع بين التقليدي والجديد، ينتج عنه ما يطلق عليه "شبه تحديث"، تلك الظاهرة التي تفيد بأن العنصر الدخيل على المجتمع العربي الإسلامي لم يحتفظ بحالته الأصلية، بل أصبح مشوهًا.

وختامًا خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن إشكالية المركزية الغربية في أنها تفترض وجود حل وحيد للتقدم في العالم العربي الإسلامي وهو السير على النهج الغربي، ومع ذلك تفترض استحالة هذا الأمر بسبب تفرد وخصوصية الحضارة الغربية.

المراجع

إبراهيم، ع. (1997). المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي: بيروت.

توينبي، أ. (1966). مختصر دراسة التاريخ (المجلد الثالث)، ترجمة فؤاد محمد شبل، القاهرة.

توينبي، أ. (2014). *بحث في التاريخ*، ترجمة وتعليق طه باقر، المجلد الأول، الوراق للنشر: بغداد.

جران، ب. (1998). ما بعد المركزية الأوروبية، ترجمة: عاطف أحمد إبراهيم ماجد، المجلس الأعلى للثقافة: القاهرة.

جودي، ج. (2008). *الشرق في الغرب*، المنظمة العربية للترجمة: بيروت.

حتحوت، ح. (2003). الإسلام فى أمريكا، دار الشروق: القاهرة.

حرفي، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيري: الثقافة والمنهج، دار الفكر العربي: دمشق.

حرفى، س. (2009). حوارات مع الدكتور عبد الوهاب المسيرى: العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر العربي: دمشق.

سعيد، أ. (1995). الاستشراق، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية: القاهرة.

شايغان، د. (1993). أوهام الهوية، ترجمة محمد على مقلد، دار الساقي: بيروت

شبار، س. (2018). من مظاهر التحيز في الثقافة الإسلامية وتأثيرها على إمكانات الأمة في العطاء والتفاعل الكوني، مركز دراسات المعرفة والحضارة، متاح على الرابط التالي:

https://maarifa-center.com/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%8A%D8%B2-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88/

عارف، ن. م. (2008). الحضارة – الثقافة – المدنية: دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، في: سيف الدين عبد الفتاح، بناء المفاهيم: دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، دار السلام: القاهرة

غانم، أ. م. (2007). البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

غليون، ب (2003). الديمقراطية من منظور المشروع الحضاري، في: نحو مشروع حضاري نهضوي عربي، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.

فرج، أ. (2000). *المركزية الغربية من التمركز حول الذات إلى الهيمنة على الآخر*، هيئة الأعمال الفكرية: القاهرة.

فوكوياما، ف. (1992). نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد حسين، مركز الأهرام: القاهرة .

لويس، ب. (1996). اكتشاف المسلمين أوروبا، ترجمة أحمد عبد القادر، المكتبة الأكاديمية: القاهرة.

لويس، ب. (1999). *الغرب والشرق الأوسط :سجال وتباين*، ترجمة، سمير مرقص ، ميريت للنشر والمعلومات :القاهرة.

لويس، ب. (2003). *أين الخطأ، التأثير الغربي واستجابة المسلمين*، ترجمة د .محمد عناني، دار سطور :القاهرة.

لويس، ب، وسعيد إ. (1994). *الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية*، دار الجيل: بيروت.

لويس، ب. (2000). *تنبؤات برنارد لويس – مستقبل الشرق الأوسط*، ترجمة :دار الرياض الريس، دار الرياض الريس :بيروت.

المتولي، س. (2009). *العمران السياسي لدى ابن خلدون دراسة في العلاقة بين الفساد والاستبداد*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة.

محمود، ز. ن. (1976). *ثقافتنا في مواجهة العصر*، دار الشروق :القاهرة.

المسيري، ع. (2002). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر: دمشق.

المسيري، ع. (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (المجلد الثاني)، دار الشروق: القاهرة.

المسيري، ع. (2009). الحداثة ورائحة البارود، متاح على الرابط التالي: https://maganin.com/content.asp?contentid=12350

المسيرى، ع. (2006). الحجاب بين الدين والمجتمع، جريدة المصري اليوم، 2006/2/12.

المسيرى، ع. (2006). دراسات معرفية فى الحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة.

المسيرى، ع. (2007). الحداثة المنفصلة عن القيمة والإله الخفى، متاح على الرابط التالي:
https://www.ajnet.me/opinions/2007/3/8/

المسيري، ع. (2001). العالم من منظور غربي، دار الهلال: القاهرة.

المسيري، ع. (5 إبريل2007). الإمبريالية النفسية، متاح على الرابط التالي:
https://www.ajnet.me/opinions/2007/4/5/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%A9-2

المسيري، ع. (13 مايو2007) الإعلام والإمبريالية النفسية، متاح علي الرابط التالي:
https://www.ajnet.me/opinions/2007/5/13/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%A9-2

المسيرى، ع. (1998). فقه التحيز، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، المعهد العالمى للفكر الإسلامى: فرجينيا.

المسيري، ع. (2008). الإنسان والشئ، متاح على الرابط التالي:
https://www.ajnet.me/opinions/2008/7/3/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%A1-%D8%A2%D8%AE%D8%B1-%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84-%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D9%8A-%D9%82%D8%A8%D9%84

المسيري، ع. (1 يونية 2007). الأمركة والكوكلة والعلمنة، متاح على الرابط التالي:

https://www.ajnet.me/opinions/2007/5/29/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%83%D9%84%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A9-2

المسيري، ع. (2 أغسطس 2007). أسئلة الهوية، متاح على الرابط التالي:

https://www.ajnet.me/opinions/2007/8/2/%D8%A3%D8%B3%D8%A6%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

المسيري، ع. (9 سبتمبر 2007). في الدفاع عن الهوية، متاح على الرابط التالي:

https://www.ajnet.me/opinions/2007/9/9/%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9

المسيري، ع. (3 نوفمبر 2006). الفيديو كليب والجسد والعولمة، متاح على الرابط التالي:

https://www.ajnet.me/culture/2006/3/11/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D9%88-%D9%83%D9%84%D9%8A%D8%A8-%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC-%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84

نبي، م. (1986). شروط النهضة، ترجمةعبد الصبور شاهين، دار الفكر: دمشق.

نبي، م. (1979). *مشكلات الحضارة*، دار الفكر: دمشق.

نبي، م. (1979). ميلاد مجتمع، دار الفكر: دمشق.

نبي، م. (1981). مشكلات الحضارة، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر: دمشق.

هاشم، أ. (30 يولية 1990). رحلة العقل العربى من التأثر إلى التأزم، مجلة المسلم المعاصر العدد ٥٧، متاح على الرابط التالي:

https://almuslimalmuaser.org/1990/07/30/%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8

%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84-
%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-
%D9%85%D9%86-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1-
%D8%A5%D9%84%D9%89-
%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D8%B2/%D8%A3%D8%A8%D8%AD%D8%A7%D8%AB /

هنتنجتون، ص. (2006). صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولى، ترجمة عباس هلال كاظم، دار الامل :الأردن.

وهبة، م. (1998). جرثومة التخلف، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

References:

Amin, S. (1989). Eurocentrism, Monthly Review Press.

Braudel, F. (1995). *A History of Civilizations*, penguin group, London.

Gordon, D. (1971). *Self-Determination and History in the Third World*, Princeton University Press, Princeton .

Hamady, S. (1960). *Temperament and Character of the Arabs,* Newyork: twayne publishers, Newyork, NY.

Hobson, J. (2004). *The Eastern Origins of the Western Civilization*, Cambridge University Press: London.

Huntington, S. (1993). The Clash of Civilization, *Foreign Affairs Journal*, June.

Lewis, B. (1990). The roots of Muslim rage, *the Atlantic monthly*, September, available at: https://cdn.theatlantic.com/media/archives/1990/09/266-3/132675122.pdf

Lewis, B. (1994). *Islam and the West*, Oxford University Press: New York (NY).

Lewis, B. (1994). Why Turkey Is the Only Muslim Democracy, *Middle Eastern Quarterly*, March, available at: https://www.meforum.org/216/why-turkey-is-the-only-muslim-democracy

Lewis, B. (1997). The West and the Middle East, Foreign Affairs Journal, january 1997.

Lewis, B. (2003). I am right you are wrong, go to hell, *the Atlantic Monthly*, May, available at:

https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2003/05/-im-right-youre-wrong-go-to-hell/302723/
Lewis, B. (2007). Europe and Islam, The AEI Press, Washington, D.C.
Lewis, B. (2010). Faith and Power: Religion and Politics in the Middle East, Oxford University Press: New York (NY).
Macdonald, D. (1965). *The Religious Attitude and Life in Islam*, the University of Chicago press, Chicago.